الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم –

كلية الآداب و الفنون

قسم الدراسات الأدبية واللغوية

تخصص : أدب عربي قديم

مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستير في الأدب العربي الموسومة بـ:

صورة الطبيعة في شعر البحتري
قصيدة إيوان كسرى مقاربة أسلوبية

إعداد الطالبين :

1 -لطروش حسين .

2 -عقبوبي خطاب .

إشراف الأستاذة

الدكتورة فريحي مليكة

السنة الجامعية : 2019/2018

اهداء

أهدي ثمرة جهدي هذا إلى من قال فيهما الله تعالى: " وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا"
إلى أغلى ما أملك في الوجود والداي العزيزين ، إلى من سهر وكد وعمل لأجل أن يوفر لي سبيل البحث والتعلم، إلى من رفع شعاع أملي والدي العزيز" عبد الله" الذي جعلني أخطو خطواتي نحو النجاح بارتياح .

إلى الشمعة التي اختارت أن تحرق لتنير دربي، إلى التي لو جمعت الدنيا ووضعتها بين يديها ما وفرت لها جزءا بسيطا في حقها، إلى أجمل اسم تتفوه به الألسن إلى الغالية أمي "يامنة"، حفظها الله ورعاها لنا دوما.

إلى كل من يحمل شعلة العلم لينير بها ظلمات الجهل.

إلى الذين شجعوني طيلة مشواري الدراسي إخوتي: مراد، عائشة، الحاجة. وإلى زوج الأخت ميلود .

إلى أخي الفاضل والمفتش الهمام بلعربي عبد الرحمان، وإلى أستاذنا الفاضل بوهراوة مدني، وإلى الأستاذة الكريمة خيرة، وإلى الدكتور سعيدي محمد، والدكتور حمودي.

إلى من عشت معه أحلى السنوات رفيق دربي إلى أطيب وأنبل صديق حسين لطروش

إلى من استوطنوا ذاتي فخصصت لهم مكانا دافئا لم يصل إليه أحد: علوش، حميد، محمد، مصطفى، بلهاشمي، عبد الله، بغداد، بو عزيز جمال، بن رحو، شعبان.

إلى كل طلبة الأدب العربي القديم- ماستير 2- دفعة 2019.

وإلى كل من مد لنا يد العون من قريب أو من بعيد

اهداء

إلى من حملتني من بطنها وأرضعتني حليبها إلى أغلى شخص في الوجود ، أمي الغالية جعلها لها في أعلى جناته برحمته الواسعة ،إلى من علمني أن الأعمال الكبيرة لا تتم إلا بالصبر والعزيمة

إلى والدي الذي كان سندا لي في كل خطوة ولحظة فطأطال الله بقاءه وألبسه ثوب الصحة والعافية

إلى اعز أخت لي في هذا الكون فتيحة رحمة الله عليها ،والتي كان لوقع وفاتها أثرا بليغا في نفسيتي، فقدت من خلالها طعم الحياة ودخلت دوامة من القهر النفسي ،أرجو من الله أن يبني لها بيتا في الجنة إن شاء الله ،إلى الجدات والأجداد رحمة الله عليهم،

إلى إخوتي محمد،الشارف، عبد القادر أخواتي المرحومة فتيحة، الزهرة، كريمة، سومية .

إلى أبناء إخوتي وأخواتي وأبنائهم وبناتهم أيضا حياة،رونق، شهيناز، بختة، عبد الله محمد، كريمة، الزهرة، عبد الحق، جابر، علي، رامز، زكريا،يحي

إلى كل الأهل والأقارب دون استثناء.

إلى صديق دربي عقبوبي خطاب الذي شاءت الصدف أن يكون مرافقي للمرة الثانية في حياتي الدراسية ،فكان نعم الأخ والسند .

شكر وعرفان

نشكر المولى عز وجل الذي ألهمنا القوة والصبر لإتمام هذا العمل

"اللهم لك الحمد والشكر كما ينبغي لجلال وجهك و عظيم سلطانك"

والصلاة على سيد الخلق محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم من رب العالمين .

أما بعد:

بكل امتنان وعرفان ، نتقدم بالشكر والتقدير إلى الأستاذة المشرفة" الدكتورة فريحي مليكة " التي لم تبخل علينا بنصائحها وإرشاداتها وتوجيهاتها القيمة والسديدة ،وصبرها علينا وسعة صدرها، التي كان لها الأثر الكبير لإنجاز هذا العمل كما نتقدم بخالص الشكر لكل من ساعدنا من قريب أو من بعيد لكل أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها، وبالأخص الأستاذ الفاضل بوهراوة مدني والأستاذ بن عمارة محمد وأستاذ الدكتور حمودي والدكتور سعيدي محمد، وموظفي وعمال جامعة عبد الحميد بن باديس وخاصة كلية الآداب والفنون إلى كل الزميلات والزملاء سنة ثانية ماستير أدب عربي تخصص أدب قديم كل باسمه ودون استثناء

مقدمة

شهد العالم الإسلاميّ ميلاد عصر جديد وهو العصر العبّاسيّ ،الذي هو تلك الفترة الزّمنية التي ظهرت فيها الدّولة العبّاسيّة على يد العبّاسيّين بعد سقوط الدّولة الأمويّة، ويمتدّ نسبها إلى العبّاس عمّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم.

قامت الدولة العبّاسيّة عام 132هـ على يد العبّاسيين، وقد أعدّوا لها في رويّةٍ وسريّةٍ، إلى غاية سقوطها على أيدي التّتار إثر سقوط بغداد عام 656هـ

قسّم المؤرّخون الدّولة العبّاسيّة إلى ثلاثة عصورٍ ،العصر العبّاسي الأول ويمتد من قيام الدّولة العبّاسيّة إلى خلافة المتوكّل هـ 132-232هـ، وقد حققت الأمّة الإسلاميّة الكثير من التّقدّم الحضاريّ على يد العباسيين منها: تطوّر التّرجمة والتأليف، ازدهار الفنون الموسيقيّة والغنائيّة والعمارة، تحسّن وسائل العيش من مسكنٍ، ومأكلٍ، ومشربٍ، عقد مجالس للعلماء، والأدباء، .....، أما العصر العبّاسيّ الثّاني بدأ بخلافة المتوكّل على الله العباسيّ 232هـ وانتهى بظهور الدّولة البويهيّة 334هـ، وفي هذا العصر ظهر نفوذ الأتراك السّياسيّ من خلال تحكّمهم في الخلفاء مما أدى إلى إضعاف الدّولة العبّاسية، ومن إنجازات هذا العصر ازدياد التّرف وازدهار الغناء والموسيقى، تطوّر الحركة العلميّة وتنشيطها. ازدياد المكتبات، ونشطت حركة الرّواية، والسّفر في طلب العلم، ازدياد حركة النّقل والتّرجمة والتأليف في مختلف العلوم والآداب.

في حين كان العصر العبّاسيّ الثّالث من قيام الدّولة البويهيّة 334هـ إلى سقوط بغداد 656هـ وفيه استمرّت الازدهارات والإنجازات في هذا العصر مثل اتساع حركة التأليف اللّغوي، والتأليف في التّاريخ، والجغرافيا، والعلوم الإسلاميّة،ظهور الفنون الشّعبيّة في مجال الشّعر كالزّجل، والموشّحات

كانت الثّورة العبّاسيّة نقطة تحول هامة في تاريخ المجتمع الإسلاميّ مع ما نتج عنها من تغييرٍ جذريٍّ في هذا المجتمع، أسس العصر العباسي العصر الذهبي للأدب العربي باقتدار، لما فيه من تجديد و موضوعات لم تكن مألوفة من قبل، وما دخل فيه من صور وتشبيهات مستمدة من الزخم الحضاري، والامتزاج الثقافي، والتحرر الفكري والاجتماعي الذي شهده هذا العصر وقد لجأ الشعراء نتيجة هذا الزخم الهائل إلى تطوير

أساليب التعبير، إذ كثرت وتنوعت الدراسات الأدبية والنقدية التي تناولت النتاج الأدبي لهذا العصر إن على مستوى العصر الأول الثاني، من هنا ارتأينا أن تكون دراستنا مقتطفا من المقتطفات الكثيرة التي كشفت عن خبايا أدب هذا العهد الزاخر، وقد وقع اختيارنا على احد أفضل شعراء هذا العصر انه البحتري أحد معأدة الشعر العباسي، هوو من الشعراء لاذين عشقوا الطبيعة وبرعوا فيها وفي تصويرها، وبعد التشاور مع رأي الأستاذة الفاضلة المشرفة ، خلصنا أن يكون موسوم رسالتنا بـــ: صورة الطبيعة في شعر البحتري قصيدة إيوان كسرى مقاربة أسلوبية ، متعادنا في هذه لادارسة على المنهج لأا سلوبي، لاذي مثل وسيلة تعين على تجلية وبلورة قيمة الذ ص الأدبي، لما يمتعده من قوعاد محددة، تفضي إلى أحكام موضوعية ، وحتى نستجلي القيم الجمالية للنص الأدبي ،لقد حاولنا من خلال دراستنا التعرض لصورة الطبيعة في العصر العباسي وخاصة عند البحتري باعتباره رائدا من روادها مركزين على بعض الإشكاليات والتي من أهمها:

ما هي طبيعة الحياة العامة في العصر العباسي ؟ ما هي تجلياتها على الأدب والشعر خاصة؟ ما مدى تجسيد الطبيعة وتأثيرها على شاعرنا البحتري ؟ما هي أهم الخصائص و المميزات التي تميز بها شعرالبحتري؟

وللإجابة عن التساؤلات المطروحة، وحتى نتمكن من الدراسة المنظمة للموضوع أخرجنا رسلاتنا في فـ صلين و مدخل مع ملحق تعرضنا في الـ مدخل لـ نبذة عن الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية في العصر العباسي، خصصناه كتمهيد لجوانب اطر الحياة المختلفة وتجلياتها وخصائصها على ذلك العصر، في حين كان افلصل الأول من ثلاث مباحث، المبحث الأول الطبيعة عند البحتري واخترنا فيه وصف الرياض والربيع وكذا الطبيعة المائية والشامية، أما المبحث الثاني فكان مجلا لدراسة وصف الشاعر العمران من قصور عباسية، والمبحث الثالث جعلناه لوصف الحيوان، الغزال والأسد والذئب والفرس.

أما افلصل الثاني، قفد تضمن الجانب التطبيقي من الدراسة أي الدراسة الأسلوبية لسينية البحتري "إيوان كسرى " من ثلاث مباحث، الأول المستوى الصوتي، والثاني المستوى التركيبي، وكان المبحث الثالث خاص بالمستوى الدلالي، كما أثرنا أن يكون

لدراستنا ملحقا يتعلق نبذة عن حياة الشاعر وشعره من خلال مقتطفات شعرية من أغراضه وقصائده الرائعة من مدح وغزل ووصف ..... ، ختمنا رسالتنا هذه بخاتمة لخصنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها .

من عصلاوبات التي او جتهنا، لجتفت في صعوبة الحصول على بعض المصادر أو المراجع نظرا لقيمتها وندرتها، لكن والحمد لله استطعنا الحصول على ديوان البحتري الذي كان محور رئيسيا لنهلنا منه ودعامة أساسية لموضوعنا، وكذا مؤلف تاريخ الأدب العربي لصاحبه احمد حسن الزيات، وتاريخ الأدب العربي لحنا الفاخروي، ومما واجهنا أيضا لغة الشاعر القوية من خلال قصائده والتي حتمت علينا الرجوع لشرح عديد مفرداتها في كثير من الأحيان، وكذا تعدد أغراضه وطول قصائده تركنا أمام هاجس الوقت لفهمها وإنهاء الدراسة وفق المطلوب وفي الوقت المحدد لها .

وفي الختام لا يعسنا إلا أن نتقدم بالشكر الجزيل لأستاذتنا الموقرة لا دكتورة فريحي مليكة، لاتي كان لها ضفلال الكبير على هذه لارسالة بفضل ماتبتعها ومرافقتها لنا في كل كبيرة وصغيرة و بدقة متناهية، وحرصها الشديد،وصبرها علينا وتحملنا ، ونتقدم بجزيل العرفان أيضا لكل من ساعدنا وقدمنا لنا ولو كلمة طيبة أو بادرة خير من أساتذة وطاقم إداري وعمال وزملاء كافة الفوج حتى ترى مذكرة تخرجنا هذه النور والتجسيد .

ونسال في الأخير الله ن التوفيق و السداد في العمل كما نرجوا منه أن نكون على قدر من الصحة و الصواب كفاية من الدقة و الفلاح والإلمام بجوانب هذا البحث.

مدخل

الحياة السياسية و الاجتماعية و الفكرية في العصر العباسي

الحياة العامة في العصر العباسي

الحياة السياسية و الاجتماعية و الفكرية في العصر العباسي

بعد وفاة النبي صلى الله عليه و سلم .وبعد تولي الخلافة الإسلامية من قبل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، كانت هناك فئة قليلة تميل إلى أن تكون الخلافة في بني هاشم، ومنهم عمه العباس بن عبد المطلب، ومع أن العباس كان في ذلك الوقت أسن بني هاشم لم يكن من هذه الفئة القليلة من يقدمه على علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

عاش علي و العباس من عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ثم بايعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ليعقبه عثمان بن عفان رضي الله عنه و في أواخر خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه توفي العباس بن عبد المطلب تاركا وراءه ابنه عبد الله بن العباس، لتصل الخلافة إلى علي بن أبي الطالب رضي الله عنه، و الذي أمضى حياته في حرب مخالفيه من البصرة وغيرها حتى اغتاله أحد الخوارج في رمضان سنة 40 هـ .

قاد معاوية ابن أبي سفيان فترة حكم الأمويين، وصلت الخلافة أخيرا للعباسيين لتصل إلى ولد العباس من ذلك الوقت علي بن عبد الله بن عباس، وهو الذي انتشر منه العباسيون[1] إن الدولة العباسية هو العصر الذهبي باقتدار، إذ بلغ فيه المسلمون من العمران و السلطان، ما لم يبلغوه من قبل، إذ أثمرت فيه الفنون الإسلامية و زهت الأدب العربية، ونقلت العلوم الأجنبية، و نضج العقل العربي فوجد سبيلا إلى البحث و مجالا للتفكير، و قد أقيمت هذه الدولة بالعراق ، و تبوأها سبعة و ثلاثين خليفة 37 في خمسة قرون و بعض القرن، ومازالت حضارة الدولة و آدابها تهبط بهبوطها حتى سقطت بسقوطها .[2]

1 محمد الخضري – محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية – الدولة العباسية ، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان – ط2 : 2004 م 1424 ه ص 9-10-11-12 بتصرف

[2] - احمد حسن الزيات تاريخ الأدب العربي دار نهضة مصر للطبع و النشر الفجالة القاهرة-مصر- ط 1 ص210-211

تختلف هذه الدولة عن الدولة الأموية بأحوال سياسية وعمرانية واجتماعية وفكرية كان لها الأثر البالغ في أدب اللغة، فالدولة الأموية كانت عربية خالصة تعصبت للعرب ولغتهم وآدابهم، وجعلت قاعدتها دمشق على حدود باديتهم وكان جنودها وقادتها وكتابها وسائر عمالها من العرب فلم يحدث في أدب اللغة تأثير إلا ما اقتضاه التحضر واتساع العمران.

اصطبغت الدولة العباسية بصبغة فارسية، لأن الفرس هم الذين أوجدوها وأيدوها، فاتخذت بغداد عاصمة لها، وأطلق الخلفاء أيدي الموالي في سياسة الدولة فاستقلوابشؤونها و استبدوا بأمورها[1]

1)- الحياة السياسية :

شهد القرن الثالث هجري من الناحية السياسية تحولا خطيرا تمثل في تحول مقاليد الحكم من الفرس إلى الترك، فتحول الأمر من النقيض إلى النقيض، فبينما كان الفرس أصحاب حضارة و ثقافة و خبرة بالنظم السياسية الإدارية، ف إن الترك كانوا على خلاف ذلك فلم يكونوا أصحاب حضارة و ثقافة، و لم يكن لهم حظ من الفنون، أو نصيب من نظم السياسة و الإدارة، و لم يعرفوا الصناعة أو الزراعة أو التجارة بل كانوا كما يصفهم الجاحظ:" أصحاب عمد و سكان فياف وأرباب حواش، وهم أعراب العجم، كما أن هذيلا أكراد العرب، لم تشغلهم الصناعات ولا التجارات ولا الطب و لفلاحة والهندسة ولاغراس ولا بنيان ولا شق انهار ولا جباية غلات، و لم يكن همهم غير الغارة والغزو والصيد وركوب الخيل ومقارعة الإبطال، و طلب الغنائم وتدويخ البلاد، وكانت همهم إلى ذلك مصروفة، وكانت لهذه المعاني والأسباب مسخرة ومقصورة عليها، و موصولة بها [2] "

مهد العباسيون لقيام دولته عن طريق الدعوة السرية لتخليص الموالي من الفرس وغير الفرس من حكم بني أمية محققا العدل و المساواة بينهم و بين العرب في جميع الحقوق و الواجبات الأساسية السياسية والاجتماعية و الاقتصادية ...الخ استنادا لقوله تعالى" يَا

[1] احمد حسن الزيات – تاريخ الأدب العربي ص 111 بتصرف
[2] رسائل الجاحظ – تحقيق عبد السلام هارون ، رسالة مناقب الترك ج 3 ط الخانجي 1979 ص 217

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ [1]"

و أيضا في الحديث القدسي قوله صلى الله عليه و سلم" الناس سواسية كأسنان المشط" [2]

أقبلت الجيوش الخراسانية نتيجة ذلك واكتسحت كل ما لقيها من مقاومة للدولة الأموية حتى قضت عليها تماما، وبذلك أعلن العباسيون أنهم أصحاب حق شرعي في الخلافة والحكم و استأثروا بها دون أبناء عمومتهم العلويين فضمى العلويين وأنصارهم يدعون سرا لدعوتهم كلما أتيحت لهم الفرصة، وكانوا دائما يسعون وراء هذه الخلافة والتي يعتبرونها حقا إلهيا بالنسبة لهم، وأنهم أحق بها من العباسيين.

أخذ العباسيون أيضا ينادون بأنهم أصحاب حق إلهي في الحكم وكانوا يعتقدون أن الشعب مسخر لهم، وأنهم أداة مسخرة لجمع الضرائب الفادحة والخراج مما أدى إلى قيام ثورات فارسية مختلفة، وكان العباسيون قد قربوا إليهم الفرس وجعلوهم في أعلى المناصب فكان منهم الوزراء والقادة، غير أن العباسيين نكبوهم نكبات متتالية أشهرها نكبة البرامكة [3]، كانت سنة 187هـ-802هـ، وهي السنة التي حج فيها هارون الرشيد مع جعفر البركمي [4]

بدأ العصر العباسي الثاني بخلافة المتوكل عام 232 هـ، وانتهى بفتح بني بويه لبغداد سنة 334 هـ[5].

اتسم بضعف الخلافة و ضياع هيبة الخلفاء و فساد شؤون الدولة و سبب ذلك نفوذ الأتراك الذي بلغ حدا كبيرا في هذا العصر [6].

امتاز هذا العصر بنفوذ الغلمان، والذي بلغ عددهم أحد عشر ألف خادما من الروم [7]

[1] - سورة الحجرات الآية -13- عن ورش بن نافع
[2] - جلال الدين السيوطي: الدر المنثور في تفسير المأثور، دار الفكر للطباعة و النشر ط 1 1983،ج6، ص99
[3] - شوقي ضيف-تاريخ الأدب العربي-العصر العباسي الثاني،ط2 دار المعارف- مصر،ص9
[4] - الطبري: تاريخ الرسل و الملوك: تحقيق محمد أبو الفضل، القاهرة 1969 ج8 ص89 بتصرف.
[5] - جورجي زيدان تاريخ آداب اللغة العربية، مراجعة شوقي ضيف، طبعة دار الهلال ج 2 ص 11.
[6] - محمد عبد المنعم خفاجي، ابن المعتز و تراثه في الأدب و النقد والبيان ، دار العهد الجديد للطباعة ط 2 ص13 .
[7] - جورجي زيدان تاريخ التمدن الإسلامي، مراجعة و تعليق حسن مؤنس ، دار الهلال ط2 1928 ج4 ص175.

يعتبر عصر المتوكل العباسي بدء انحلال الدولة العباسية و الذي انتهى بسقوطها على أيدي التتار 656هـ ويرجع ضعف هذه الدولة إلى عدة عوامل منها اعتماد العباسيون على الفرس و الأتراك و جعلهم في المناصب المدنية و العسكرية د ون العرب الذين كانوا مادة الإسلام وقوام الدولة العربية،فضعفت عصبيتهم وانحطت منزلتهم وانصرفت قلوبهم من التأييد، ومما أثار حقد العرب على العباسيين فتك ه ؤلاء ببني أمية و مناصبتهم العلويين العداء فقام العلويين في وجههم لأنهم استأثروا بالخلافة دونهم مع أنهم أحق بها منهم إذ أن الدولة قامت بسيوف أنصارهم فأدى إلى ضعف قيمة العهود والمواثيق في نظر العباسيين ونقضهم لها إذا عارضت مصالحهم ومن ذلك ظهرت بدع الملاحدة والزندقة كالروندية والخزمية و أصحاب المقالات وطوائف المتكلمين المعتزلة، مما أدى إلى انقسام المسلمين شيعا و طوائف ليناهض بعضها بعضا بل يحاول بعضها القضاء على الدولة نفسها[1].

كان أول من استخدم الأتراك في الجيش من الخلفاء العباسيين بين المنصور العباسي المتوفى سنة 158هـ، ولكنهم كانوا شرذمة صغيرة لا ش أن لها في الدولة وإنما كان الشأن يومئذ للفرس والعرب [2].

يعتبر عصر المعتصم و الذي بد أ عام 211هـ، بداية لظهور العنصر التركي والذي كان له أثرا فعالا في الأحداث السياسية خلال الخلافة العباسية حتى نهاية القرن الثالث الهجري ويرجع سبب اتجاه المعتصم للأتراك للأسباب الآتية :

أولا : إن أهم عنصر في الجند على عهد المعت صم الخراسانيون وهم فرس من خراسان و كانوا عماد الدولة العباسية نحو قرن من الزمان كما كانوا حرس الخلفاء وكان بجانب هؤلاء الجنود جنود من العرب، من مصر واليمن .

بدأ المعتصم يشعر أيضا بضعف ثقته في الفرس وذلك إن كثيرا من الجند لما مات المأمون كان هواهم مع ابنه العباس لأن أم المأمون فارسية.

[1] - حسن ابراهيم حسن- تاريخ الإسلام السياسي والديني والاجتماعي في العصر العباسي الثاني 1949 مكتبة النهضة المصرية ج3 ص17

[2] - جورجي زيدان تاريخ التمدن الإسلامي-ج4 ص178

ثانيا : هناك سبب آخر لاستدعاء المعتصم للترك، وهو أن أم المعتصم أصلها من هذه الأصقاع التركية فقد كانت من السند وكان في طباعه كثير من طباع هؤلاء الأتراك من القوة والشجاعة والاعتداد بقوة الجسم والبدن فدعته العصبية التركية والتشابه الخلقي أن يفكر في استدعاء الأتراك ففعل [1].

مكن المعتصم للأتراك في الأرض و قربهم إليه و خصهم بالنفوذ و قلدهم قيادة الجيش ، و جعل لهم مركزا في السياسة، و حرم العرب مما كان لهم من قيادة الجيوش ثم أسقط أسماءهم من الدواوين و كذلك آثر الترك على الفرس في كل شيء ويبدو هذا واضحا في ترتيب الجيش في غزوة عمورية ، ففقد كانت القيادة العليا لمعظم فرق الجيش في يد الأتراك [2].

ثم استخلف المعتصم ابنه الواثق الذي سار على نهج والده بأن أخذ يقرب إليه الترك، حيث أصبحت تولية الخلفاء فيما بعد بيد الأتراك و أيضا عزلهم و بذلك يتحول إليهم السلطان جميعا [3].

عند تولي المتوكل الخلافة سنة 232 هـ، كان قد مضى على المجيء اللأتراك اثنتا عشر سنة فأصبحت أمور الدولة في يدهم وأصبحوا مصدر قلق واضطراب فهم يكرهون العرب والفرس .

رأى المتوكل أن يتخلص منهم و يعيد للدولة سيرتها الأولى و لكن ابنه المنتصر كان يشايعهم مما اضطر المتوكل إلى العزم على الفتك به و قتل القادة الأتراك هم الآخرون قد كانوا عازمون على الفتك به فتقدم حارس المتوكل وهو تركي في مؤامرة ومعه عشرة من الغلمان فقتلوا المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان ومن ثم استقرت الخلافة للمنتصر [4] .

كان قتل المتوكل أول حادثة اعتداء على الخلفاء العباسيين وكانت هذه الحادثة بدء مصرع الخلافة العباسية وبدء مجد الأتراك .

---

[1] - ابن كثير أبو الفداء الحافظ-البداية و النهاية- بيروت-لبنان-1969 ج1 ص473

[2] - شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، ص 90.

[3] - المصدر نفسه، ص 90

[4] - الطبري تاريخ الرسل والملوك ج1، ص31.

لما تمت البيعة للمنتصر حسن إليه الأتراك خلع أخويه المعتز والمؤيد من ولاية العهد إذ كانوا يخشون بأسهما وقد ساءت حالة البلاد في عصره وفقد محبة الشعب لكثرة ما لحق به من الأذى بسببه.

أعتبر المنتصر عظيم الحلم راجح العقل غزير المعرفة راغبا في الخير جوادا كثير الإنصاف حسن العشرة [1]ولما مات المنتصر اجتمع الق ادة الأتراك وتشاوروا فيمن يولونه الخلافة بعده وأجمعوا رأيهم على تولية أحمد بن المعتصم وبايعوه وله من العمر ثمان و عشرين سنة و لقب بالمستعين (148هـ – 252هـ)، و كان العباسيون لا يأمنون جانب الأتراك، لما كان هؤلاء يعملون على تولية الخلافة لمن يطمئنون إليه من أمراء البيت العباسي لذلك لم يرضوا بأن يولوا أحدا من أبناء المتوكل حتى لا يثأر منهم لقتل أبيه المتوكل وسلم أخيه المنتصر [2] .

رأى الأتراك تنكر المستعين لهم وامتناعه عن العودة إلى سامراء فقاموا بخلعه وبايعوا ابن عمه المعتز بن المتوكل (252هـ –255هـ) ثم قامت الحرب بينهما ودامت عدة أشهر فأثر ذلك على حياة البلاد الاقتصادية فغلت الأسعار وعظم البلاء [3].

نفي الخليفة المعزول إلى واسط واختار الأتراك أحمد بن طولون ليصحبه فأحسن إليه وأطلق له الحرية في التنقل والصيد ، وعلى الرغم من ذلك الفوز الذي أحرزه الأتراك بخلع المستعين و نفيه أوجسوا شرا من إبقائه حيا و أوعزوا إلى المعتز إن خلافته لن تثبت إلا إذا قتل المستعين ووافقتهم على ذلك (قبيحة) أم المعتز التي خافت على حياة ولدها أن تمتد إليه يد الأعداء[4].

كان المعتز يخاف الأتراك و يخشى بأسهم و لا يأمن ج انبهم فأصبح ألعوبة في أيديهم حتى قاموا بقتله ، بعد مقتل المعتز ولى أمر الخلافة إلي المهتدي بن الواثق (255هـ –

[1]- ابن الأثير الكامل في التاريخ: بيروت –لبنان- 1965، ج7، ص39.
[2]- المصدر نفسه، ص40.
[3]- المصدر نفسه، ص 49-50.
[4]- المصدر نفسه، ص60-61.

256هـ) وهو أسمر، رقيق، مليح الوجه، ورعا، متعبدا، عادلا قويا في أمر الله بطلا شجاعا[1].

لم يكن المهتدي متلهفا على الحكم و الخلافة وكان مترددا في سياسته حيال ق ادة الأتراك، و قد ورث المهتدي مسؤولية ثقيلة تتمثل في الضائقة المعيشية في البلاد، الأموال كانت شحيحة فقد ذهب أكثرها إلى القادة ولم يبق شيء يدفعه للجنود، فللملاحظ أن المهتدي كان زاهدا وورعا إلا أن تلك الأموال كانت مهمة لتسيير الدولة ولو أحسن المهتدي استغلال تلك الفجوة التي حصلت بين القادة والجيش ، ففي سنة 253هـ، قتل وصيف التركي و كان السبب في ذلك أن الأتراك[2].

ثقل حكم المهتدي على الأتراك فأخذوا يدبرون الحيل والمكائد لقتله حتى استطاعوا قتله سنة 256 هـ[3] .

بعد مقتل المهتدي آلت الخلافة إلى المعتمد في رجب سنة 256 هـ، وكان يؤثر اللذة ويعكف على الملاهي كان حازما مقداما بعدما بعيد النظر عارفا بأمور الحرب و شؤون السياسة [4].

قرب المعتمد إليه آخاه الموفق في الحكم لكنه كان يضمر له العداوة لأن المعتمد كان يقدم ابنه المفوض على الموفق وأيضا قرب إليه الأتراك أمثال موسي بن بغا وهذا يعد من أحسن النماذج و الأمثلة التي تثبت لنا مدى اتساع نفوذ الأتراك في هذا العصر[5] .

كانت أيام المعتمد أيام محن وخطوب وقد اشتعلت الحرب في عهده سنة 278 هـ[6].

مات المعتمد فجأة بعد أن بايع ابنه أبا العباس بولاية العهد ولقب بالمعتمد بالله (279هـ - 289هـ) كان ملكا شجاعا ظاهر الجبروت، وافر العقل، شديد الوطأة ، وكان قليل الرحمة إذا غضب على قائد أمر بإلقائه في حفرة وردم عليه .

---

[1]- جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء تحقيق محي الدين عبد الحميد، ط 2، مطبعة السعادة 1959، ص361.
[2]- الطبري تاريخ الرسل والملوك ج11، ص153.
[3]- شوقي ضيف العصر العباسي الثاني، ص47
[4]- المصدر نفسه ص47
[5]- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والاجتماعي، ج2، ص28.
[6]- ابن الأثير الكامل، ج7، ص158.

كان شهما عرف فضله فقام بالمعروف أحسن قيام وهابه الناس وسكنت الفتن في أيامه[1]،لما مات المعتمد ولى ابنه أبو محمد و لقب بالمكتفي بالله (189- 295هـ) وكان حسن السيرة محبوبا عند الرعية سار سيرة جميلة فأحبه الناس ودعوا له و لكنه كان مبذرا كثير البذل [2].

لم يعمر المكتفي طويلا في الخلافة فمات في ريعان شبابه في 11 من ذي الحجة 295 هـ، فخلفه أخوه المقتدر.

خلف المكتفي أخوه أبو الفضل جعفر بن المعتضد وهو في الثالثة عشر من عمره وتلقب بالمقتدر (295هـ - 320هـ) وفي عهده عاد نفوذ الترك مرة ثانية فقوي سلطانهم وطغيانهم وعاد معهم الخلع وسفك الدماء و زادوا سمل الأعين [3].

2) الحياة الاجتماعية :

بذر الأمويون حب العنصرية القومية التي امتدت حتى انقطعت حبالها بتقلص ظلهم في عهد بني العباس الذين لم يأمنوا العرب على أمورهم فليس لهم إلا التمكين لحلفا ئهم الفرس حماة دولتهم .

نقل هؤلاء الفرس عاداتهم وتقاليدهم وثقافتهم وإزاء النفوذ الغالب للتقاليد الفارسية انسربت إلى جسم المركز الخلافي عادات الأمم الأخرى وكانت معدة ببغداد جبارة هضمت كل ذلك التركيب العجيب [4].

ثم ظهر أدب جديد على لسان الجواري المثقفات لم تعرفه العرب قبلا [5].

---

[1]-- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والاجتماعي، ج3، ص34.

[2]-المصدر نفسه ،ج2 ،ص 35

[3]- شوقي ضيف العصر العباسي الثاني، ص18.

[4]- علي شلق، ابن الرومي في الصورة والوجود، دار النشر للجامعين، الطبقة الأولى 1960م، ص48.

- الإمام أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، الكامل، تحقيق: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، ج 2، ص79، أبو عمر أحمد ابن عبد ربه الأندبسي، العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين، أحمد الزير، ابراهيم الأبياري، لجنة التأليف و الترجمة والنشر1948م، ج3، ص43، الإمام أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، الكامل، تحقيق: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة،

[5]ج2، ص279.

كما ظهر أدب الزهد والعزوف عن الدنيا ردا على الأدب الماجن ، ونشأ فن الرقص فوضعوا له الأصول والقواعد وانغمس الناس في الترف غافلين عن تهاوي فئات كثيرة من الشعب في درك الفقر والعوز .

جعل العباسيون الغناء و الرقص مجالس أسهم فيها الشعراء و العلماء و الأدباء بكل فن مستطرف وبديع متطرف فلا تدري ! أهي مجالس شراب عقدت من اجل الفن والأدب أم مجالس فن وأدب كانت من أجل الشرا ب !. وكان لهذه المجالس ملابسها الخاصة يسمونها ثياب المنادمة وهي أثواب مصبغة بالأوان الزاهية يصقلونها حتى تلمع وتشرق، يعطرونها بالطيب ويزينونها بنسيج الذهب [1] ثم يتذاكرون آداب العرب، وأخبار الأمم، والألوان الأدب وخليطا من الفنون وقد كان لكل خليفة ندماء يصطفيهم من خاصته ونوابغ عصره يجالسونه في أوقات أنسه ويروحون عنه في ساعات قلقه وأرقه [2]، وأسرفوا في الطعام وتفننوا في ألوانه واهتم به الخلفاء و كان المكتفي يطلب إلى الشعراء أن يصفو له بعض أنواع الطعام و أن يقولوا الشعر في الشراب ويتبادل مع ندمائه الطرف والفكاهات .

كان الترك صارفين همهم إلى الغنائم و الأسلاب ، لذلك أفقروا خزانة الخلافة ولم يكن يطيب لهم إلا أطايب البدن و هذه تقتضي كثير إنفاق فصفرت بيوت المال وسلط الأتراك سيوفهم على الخلفاء الذين كانو ا شركاءهم في الترف والاستهتار وأصبح الخليفة يصادر ممتلكات أقرب الناس إليه ليسد عجز الخزانة لذلك وصلت الرشوة و السرقة إلى مدى لم تعرفه من قبل و أصبحت الاقتطاعات تتأرجح صعودا و هبوطا [3].

[1]- جورجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ج 5،ص 94.
[2]- حسن ابراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والاجتماعي، ج 3،ص416.
[3]- علي شلق ابن الرومي، في الصورة والوجود ص 49-52.

عبر العقاد عن الإقطاع في قوله : نظام معيب ولكنه يبقى مستور العيب ما بقيت الدولة وسطوة القائمين عليها فإذا ضعفت وضعفوا فهو الشر المستطير يسقى به الحاكم والمحكوم وينخر في أركان الملك فلا يدعه إلا هو مفك الأجزاء معتوه بأسباب الفناء [1] .

تفشى الإقطاع ولم يكن مقصورا على أجزاء من أرض الولاية الواحدة بل يشمل ولاية برمتها، على أن يؤدي إلى دار الخلافة مبلغا من المال عدا الهدايا والتحف [2]

فازت طبقات بالثراء الفاحش وتكدست في خزانتهم أحواض السباحة وحدائق الحيوان فنجد أن المتوكل قد بني عددا كبيرا من القصور منها البركة ، و البهو، والقلائد، والتل، والمختار، والبرج ... وغيرها [3].

من قصور المعتز الساج، والكامل، ومن القصور المعتمد المشوق، والأحمدي، والمعشوق [4]، وكان المعتضد وابنه المكتفي محبين للعمارة فبدأ أولهما في بغداد بناء قصر " التاج" وأتمه الثاني وقد أدار حوله سورا واتخذوا حوله المنازه والدور كما بنى المعتضد قصر الثريا [5] .

1 -الحياة الفكرية :

ازدهرت الحياة الفكرية في العصر العباسي الثاني ازدهارا كبيرا فقد تلاقت في الحواضر الإسلامية شتى الثقافات التي تمثل الأمم وآثارها في العلم والثقافة و كانت الدولة مزيجا من شعوب الكثيرة وكانت عقلية هذا الشعب الجديد تتجلى عليها اثر الثقافات والوارثات [6]، و قد كان لامتزاج العنصر العربي بالعناصر الأجنبية الأخرى تأثير في الحياة العقلية والثقافية لأن لكل عنصر من هذه العناصر عاداته وتقاليده و أفكاره وآدابه التي تميزه عن الآخر وربما كان لهذا الامتزاج بين العرب والفرس والروم والهنود أثر

[1] - عباس محمود العقاد : ابن الرومي – حياته من شعره ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة السادسة ، 1967 ، ص 22

2- حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الاجتماعي ، ص 296.

[3] - يونس السامرائي ، سامراء في الأدب القرن الثالث الهجري ، مطبعة الإرشاد ، بغداد 1968 ، ص 134

[4] - المصدر نفسه ، ص 272-283

[5] - جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الإسلامي ، ج5 ، ص 109

[6] - محمد عبد المنعم خفاجي ، ابن المعتز و تراثه في الأدب و النقد و البيان ،ص 22

كبير في هذا العصر لأن مزج الثقافات المختلفة مع بعضها البعض يؤدي إلى خلق بيئة تتمتع بقدر كبير من الخصائص والمميزات المختلفة ، وقد كانت الدولة العباسية وبخاصة في العصر العباسي الثاني مؤمنة إيمانا تاما بالروح العلمية والحرية الفكرية وهنالك بعض الملامح التي تبرز الحياة الفكرية والثقافية في هذا العصر وترسم فيه صورة المجتمع من خلال تلك الحياة المتسعة بثقافتها المختلفة والحقيقة أن ذلك العصر أزهى عصور العلم في بلاد الإسلام قاطبة لأنه كان أول عصر تلقى فيه الثقافة الإسلامية كلها كاملة مفروغا من وضعها وترجمتها وتحضيرها [1].

لقد وجه بنو العباس همهم نحو العلم والثقافة وشغفوا بعلوم الأمم الأخرى الأجنبية فاقبل العلماء على التأليف والترجمة وانقسمت العلوم إلى قسمين :

القسم الأول : يشمل العلوم الإسلامية من شرعية و سياسية

القسم الثاني : يشمل العلوم الدخيلة من فلسفة و طبيعية و رياضية و غيرها .

أما العلوم الشرعية : في تفسير القرآن وجمع الحديث واستنباط أحكام الدين والتدليل على العقائد الدينية[2].

نما تفسير القرآن الاهتمام بالسنة النبوية في هذا العصر نموا واسعا وظهرت فيه اتجاهات أربعة هي :

اتجاه التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي ، و التفسير ا لاعتزالي أو التفسير الشيعي، و التفسير الصوفي .

من مفسري هذا العصر محمد بن جرير الطبري ومن علماء الحديث الإمام البخاري والإمام مسلم رضي الله عنهما [3]، و أيضا من علماء السنة في هذا العصر: حجة الإسلام و هو الإمام أبو زكريا يحي بن معين البغدادي[4] و من علماء الفقه صاحب الإمام الشافعي، أبو يعقوب يوسف وخالد بن خراش المهلبي البصري صاحب (علوم الحديث) [5]

[1]- عباس محمود العقاد ، ابن الرومي حياته من شعره ، ص 40

[2]- أحمد أحمد بدوي، البحتري دار المعارف، ط 4،د، ت، ص 18.

[3]- شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، ص 165.

[4]- أبو الفلاح عبد الحي بن عماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الأفاق الجديدة، بيروت، المجلدالأول، ج 2، ص79.

[5]- المصدر نفسه، ج 2، ص71.

أما العلوم اللسانية كالنحو و الصرف: فقد كان هذا العصر عصر عناية بها، فظهر كتاب سيبويه في النحو على المذهب البصريين، و شرحه تلميذه الأخفش، كما ظهر كتاب (الحدود) للفراء في النحو على مذهب الكوفيين [1]، و من العلماء النحو نفطويه الذي كان يدرس النحو بجامع المنصور خمسين سنة [2].

شهد هذت العصر بلاغة كان مبدأ تكوينها في كتاب (مجاز القرآن) الذي ألفه عبيدة، وأيضا كتاب (البيان والتبيين) للجاحظ، و كتاب (البديع) لابن المعتز [3].

حاول العلماء جمع ألفاظ علوم اللغة في الكتاب بعد أن توضع بعض العلماء رسائل صغيرة في فئات من الألفاظ التي تتصل بموضوع واحد [4].

كانت هناك علوم دخلية و تمثلت في أربعة أقسام :

- طبيعية: كالكيمياء والطبيعة والطب والصيدلة، ورياضة، وسياسة، و إلهية تشمل ما وراء الطبيعة [5].
- تميز الأدب بظهور الحياة العقلية فيه وبصدق تمثيله للحياة الاجتماعية، وقد أصبح الأدب في هذا العصر صناعة عقلية في الإنشاء والتأليف، و مما يتجلى فيه من إبداع التصوير واتساع الخيال بالمبالغة الشديدة و الإكثار من الحكمة والمثل والبراهين العقلية، وقد أصاب الأدب الكساد وانصرف الناس إلى الفلسفة وعلومها [6].
- ظهرت في هذا العصر أيضا الترجمة وهي امتداد لأيام المأمون أ حد خلفاء العصر العباسي الأول، و الذي اعتنى بها عناية كبيرة حشدا لها همته وأعد عدته، ومن عنياته بالترجمة وسلامتها من الأغلاط العلمية واللغوية أنشأ ببغداد مدرسة الترجمة ليتعلم فيها أبناء العرب اللغات المختلفة حتى يجيد النقل عنها [7].

لم تكن هنالك مراحل للتعليم كما عهدناها اليوم من مدارس وجامعات ومعاهد متخصصة، بل كان الكتاب يحل محل تعليمنا الابتدائي والإعدادي، ومن أراد أن يكمل

[1]- أحمد أحمد بدوي، البحتري، ص 16.
[2]- شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، ص 18.
[3]- أحمد أحمد بدوي، البحتري، ص 18.
[4]- شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، ص 118.
[5]- أحمد أحمد بدوي، البحتري، ص 18
[6]- محمد عبد المنعم خفاجي، ابن المعتز وتراثه في الأدب، والنقد والبيان، ص 32.
[7]- السباعي بيومي، الأدب وتاريخه بالمشرق، مكتبة الأنغلو، ط 1، 1953، ج2، ص231.

تعليمه بعد ذلك يذهب إلى حلقات المساجد وكانت أشبه بمعاهد عليا، فلم تكن فقط دور العبادة بل قل جامعات للعلم والعلماء، إذ كان لكل عالم في كل فرع من فروع العلم حلقة كبرى يتحلق فيها طلابه من حوله، فكانت المساجد حينئذ أشبه بالجامعات الحرة فالطلاب يختلفون إلى من يشاءون الاستماع أليه بدون أي شرط، منهم من يأخذ الفقه أو الحديث أو التفسير أو النحو أو الشعر [1].

يتضح لنا مما سبق ازدهار الحياة الفكرية ازدهارا كبيرا، حيث تلاقت العلوم، وهذه العقلية تعكس صورة ذلك المجتمع الذي أولى اهتمامه الأكبر للعلم والبحث في القرآن والسنة و العلوم الإنسانية والعقلية و لآداب .

[1]- شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، ص 132.

الفصل الأول

تجليات الطبيعة و صورها عند البحتري

- المبحث الأول البيعة عند البحتري
- المبحث الثاني العمران عند البحتري
- وصف الحيوان عند البحتري

تمكن البحتري بشاعرتيه الكبيرة أن يلج مختلف الإغراض الشعرية التي عرفها العرب منذ القديم كما كان له باع كبير في وصف مظاهر الطبيعة فسنجده قد "تحول إلى ذوب من الرقة و فيض من العذوبة الشفافة" [1]، كما كان للبحتري قوة المخيلة و روعة التصوير ما جعله يتناول الأشياء المادية فرسمها بشعره لمحا، فيخرج لها صورا دقيقة بارعة الفن، وقد يرتفع عن المرئيات فيمعن في سماء الخيال، ثم يعود بمختلف التصاوير والتهاويل ملؤها حركة و حياة، فتحس و كأنك نسمع جرسها، و ترى خطراتها و تلمسها بأناملك العشر[2]

كانت الطبيعة حاضرة في شعر البحتري بجمالها و رونقها بألوانها وأصباغها بأشكالها و ظلالها، فقد تجلت عنده بمظاهرها المختلفة وأمكنتها المتباينة، فكانت الأرض وما عليها من أشجار وأنهار و الجبال ورياض وما فوقها من طبيعة علوية من شمس والقمر والكواكب وصبح والليل وما يحيطها بها من فصول أربعة و ما فيها من حيوانات من الخيل ونوق، وظباء، أسود، وحمام ، وذئاب ...وغيرها مادة سائغة استلهم منها الشاعر أفكاره ، واستمد منها معانيه، ومن شدة تعلقه بها، و صدق عاطفته نحوها، أن وظفها بقوة في موضوعاته الشعرية حتى وإن كان التعبير من ذلك داخليا تتبدى أمام عينيه في كامل حسنها و جمالها كلما احتاج إليها، إذ ظلت شمسا لا تغيب عن عينه و قلبه و لا تفارق ذهنه، وخياله، فتراه إذا مدح شبه ممدوحه بالغيث والسحاب والنسيم العليل، والأسد الهصور، و إذا تغزل شبه الحبيب بالرياحين والورود، وحتى الظباء والغزلان، وإذا وصف رسم لوحات فنية بارعة .

[1]– صالح حسن اليظي، البحتري بين نقاد عصره،ص 79، دار الأندلس للطباعة و النشر والتوزيع ، بيروت، ط1 ، 1982، ص79.

[2]– بطرس البستاني أدباء العرب في الأعصر العباسية "حياتهم، آثاره، نقد آثارهم" دار مارون عبود 1979، ص224 ب تصرف

استمد سحرها و جمالها من الطبيعة الخلابة حوله، و قد شمل وصف الطبيعة عند البحتري كلا من الطبيعة الحية والصامتة والطبيعة الحية ما اشتملت عليه من أصناف الحيوان ما عدا إنسان، وبالطبيعة الصامتة مظاهرها، و وجودها المتجسد في سهولها وبحارها وسمائها وبواديها و حدائقها و حقولها[1]، و ربما السبب في تعلق الشاعر بالطبيعة يعود إلى نشأته الأولى، فقد فتح عينيه على جمالها في مسقط رأسه "حلب" و التي كان لها يد في تصفية خياله، فشب على ما يشب أهل البداوة من دقة الحس و صدق المخيلة [2]، فنجده يقول[3]:

في نِعْمَةٍ أوطِنْتُهَا وَأقمتُ في أفْيَائِهَا، فكأنّني في مَنْبِج

كان بديهيا أن تكون هذه الطبيعة هي المنهل الذي ترتوي منه قصائده، كما لا يمكننا أن نغفل الأثر الكبير الذي خلفته الحضارة العباسية الجديدة على شاعرية البحتري بألوانها المتعددة الأصباغ والزاهية، إذ تناول هذه الأصباغ والألوان فأحسن مزجها ومدها على اللوحات، وإذا هي تناسق وتزاوج وموسيقى وألوان[4]

يستوقف المتأمل في الشعر العربي تلك العلاقة المتميزة التي جمعت الإنسان العربي بالبيئة المحيطة به، فمنذ أن وطئت قدماه الأرض، وجبل على ترابها راح يتأمل ما محيط به من مناظر ومظاهر، ساعيا إلى فهم إسرارها و تحديد نواميسها معبرا في أحيان كثيرة عما يختلج في وجدانه بلغة شعرية راقية، وكان أول ما استوقفه مشاهد الطبيعة التي يعيش بين أحضانها، ويمشي في

---

[1]– عبيد صبحي، محمد عباس حسن– رسالة الدكتورة– إشراف د، زكريا صيان، معهد أدب – الجزائر 1985، ص98.

[2]– بطرس البستاني أدباء العرب في الأعصر العباسية "حياتهم، آثاره، نقد آثارهم" ص 224.

[3]– البحتري الديوان:تحقيق، شرح و تعليق، حسن كامل الصيرفي دار المعارف القاهرة، ج،م،ع، ط 3، ج1، ص405.

[4]– حنا الفاخوري، الموجز في الأدب العربي، وتاريخي، –دار الجيل– بيروت، ط 2، 1992، ج2،ص358 بتصرف

مناكبها، من صحاري وبراري ونجاد ووهاد، والظواهر المختلفة المحيطة به، كتعاقب الليل والنهار، و توالي الأيام والفصول، و لم يفته أن ينظر إلى السماء ويتأمل ما فيها من شمس ونجوم وكواكب، وإلى الأرض وما عليها من أشجار وأعشاب، وما يتدفق فيها من أنهار ووديان وما يحفها من بحار و محيطات، واتسع نظره أكثر فراح ينقل ما تموج به بيئته من ألوان الحيوان كالخيل والإبل وبقر الوحش، وأصناف الطيور، والحقيقة أن الإنسان الجاهلي كان في صلة مع كل الظواهر المحيطة ببيئته، يرقبها الليل نهار، صباح مساء .

المبحث الأول: الطبيعة عند البحتري :

استطاع البحتري بشاعريته الفذة، وعبقريته الكبيرة، أن يلج مختلف الإغراض الشعرية التي عرفها العرب منذ القديم، وأن يعزف أعذب القصيد على أنغام البحور الخليلية، وإن شئت أن تلمس قوة إبداعه، وبلاغة تصويره، وخصب خياله، و حلاوة معانيه فتأمل ما نظمه في وصف مظاهر الطبيعة فستجده قد تحول إلى ذوب من الرقة، و فيض من العذوبة الشفافة [1]، ولا أعدوا الصواب إذا قلت، إن الطبيعة قد رفعته إلى مرتبة عالية، و أحلته مكانة مرموقة، كيف لا ؟ وهو الذي" أوتي من قوة المخيلة، وروعة التصوير ما جعله يتناول الأشياء المادية، فيرسمها بشعره لمحا فيخرج لها صورا دقيقة بارعة الفن، وقد يرتفع عن المرئيات فيمعن في سماء الخيال، ثم يعود بمختلف

[1] صالح حسن البظي – البحتري بين نقاد عصره –دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزيع – بيروت، ط 1 1982م .

التصاوير، والتهاويل، ملؤها حركة وحياة، فتحس و كأنك تسمع جرسها، وترى خطراتها، وتلمسها بأناملك العشر" [1]

كانت الطبيعة إذن حاضرة في شعر البحتري بجمالها وجلالها، بألوانها وإصباغها، بأشكالها وظلالها، فقد تجلت عنده بمظاهرها المختلفة وأمكنتها المتباينة فكانت الأرض، وما عليها من أشجار وأنهار وجبال ورياض، و ما فوقها من طبيعة علوية ، من شمس و قمر وكواكب وصبح وليل، وما يحيط بها من جو بفصوله من شتاء وصيف وربيع وخريف، و ما فيها من حيوانات، من خيل ونوق وأسود وظباء وحمام وغيرها مادة سائغة استلهم منها الشاعر أفكاره و استمد منها معانيه، و من شدة تعلقه بها، و صدق عاطفته نحوها أن وظفها بقوة في موضوعاته الشعرية، فهي وإن لم تظهر لغرض ملح إلا أنها كانت منصهرة في داخله، تتبدى أمام عينيه في كامل حسنها وجمالها، كلما احتاج إليها، إذ ظلت شمسا لا تغيب عن عينه، وقلبه ولا تفارق ذهنه، ولا خياله، فتراه إذا مدح، شبه ممدوحه بالغيث والسحاب، والنسيم العليل، والأسد الهصور، وإذا تغزل شبه الحبيب بالرياحين، والورود، والرياض الغناء، التي تجمع مختلف الألوان و الإشكال و حتى الظباء و الغزلان .

أ – **الرياض :**

كانت الرياض و البساتين من أجمل المناظر إلى قلب البحتري" يرودها، فيسرح فيها الطرف، وينزه الحس، يغني على دعاء الطير وخرير الينبوع،

[1] بطرس البستاني ، أدباء العرب مني العاصر العباسية (حياتهم، أثارهم ، نقد أثارهم) دار مارون عبود 1979 ، ص 224 .

وانبجاس عين السماء، ويترع النفس خلال نافذة العين من ذلك البساط الذي تناغمت فيه الألوان [1]

استوقفته مرة روضة تزينت بمختلف الإزهار، و لبست ثوبا بهيا غطى أديم الأرض، فتعانقت فيه الألوان المختلفة من أخضر مبهج، وذهبي مشرق، قال واصفا ذلك[2]:

هذي الرَّياضُ بَدَا لِطرْفِكَ نورهُا فأرَتْكَ أحَسنَ من ريَاطِ السُّنْــدُسِ
ينْشُرنَ وَشْياً مُذْهباً و مُدَبَّجــاً ومَطارِفُسُجِتَتْ لغِيرِ المَلْبــسَ
وأرَتْك كافُوراً و تِبْراً مُسْرِقــاً في قائِمٍ مثْل الزُّمُّرِدِ أمْلــــس

نسج البحتري في اللوحة الفنية المقدمة خيوطها، وخط ظلالها، وأبدع في تلوينها، وبرع في إخراجها في أحسن صورة فهي بديعة الخلق جميلة فاتنة، مشرقة زاهية طيبة الرائحة، جمع فيها بين صور الثلاثة تآلفت بينها واتحدت، أولها الصورة اللونية، فقد تزينت الروضة بألوان متعددة (من أبيض وأخضر وذهبي)، وثانيها الحيوية الحركية التي جسدتها الأغصان في تمايلها وحركتها المضطربة مع كل هبة النسيم، وثالثها الصورة البصرية التي تجلت في ذلك التفاعل بين الإنسان والروضة التي تغري الناظر إليها وتأسر قلبه، لم تبرزه من مفاتن وجمال.

يرى الدارسين إن هذه الآبيات تعكس ذلك التطور الحضاري وترف المادي الذي بلغه واقع العصر العباسي، كإتقان الحياكة، وفن النسيج وتشوية بالذهب والتطعيم بحبات الزمرد[3].

---

[1]– نديم مرعشلي– البحتري، عصره، حياته شعره، طلاس للدراسات والترجمة والنشر– دمشق– ط 2–1987– ص193

[2]– البحتري الديوان ج4 ص794.

[3]– المصدر نفسه ج2 ص 1179.

يرسم البحتري لوحة أخرى لروضة ثانية هي ثمرة يانعة من ثمرات التراحم بين الأرض والسماء يقول فيها[1]:

سَرى البرقُ يلمعُ في مُزنةٍ تجرُّ إلى الأرض أشطـانَهـ

وكَمْ بالجَزيرَةِ مِنْ رَوْضـةٍ تُضَاحِكُ دِجْلَةَ تُغْبَـانـــهَـ

ثُـريكَ اليواقيتَ منثـورةً وقد جلَّلَ النَّورُ ظهرانَهـــا

غَرَائبُ تَخطفُ لحظَ العُيونِ إذا جَلّتِ الشّمْسُ ألْوَانَهَـــا

إذا غَـرّدَ الطّـيرُ فيـها تَنَتْ إلَيْكَ الأغانيُّ ألْحَانَهـا

تَسِيرُ العَمَارَاتُ أيْسَارَهَـــا وَيَعْتَرِضُ القَصْرُ أيْمَانَهَا

وَتَحْمِلُ دِجلَةُ حملَ الجَمُوح حـتّى تُنَاطِحَ أرْكَانَـهَا

كأنّ العَذَارَى تَمَشّـى بِـهَا إذا هَزّتِ الرّيحُ أقْنَانَهَا

تُعَانقُ للقـُرْبِ شَجـرَاؤهَا عِنَاقَ الأحِبّةِ أسْكَانَـهَا

فَطَوْراً تُقَوِّمُ مِنْـهَا الصَّبَا وَطَوْراً تُمَيِّلُ أغْصَانَهَا

أخرج شاعرنا لوحة بديعية بلغته المتميزة التي هي وسيلته في تشكيل الصورة بخطوطها وظلالها وألوانها، بدأها بصورة البرق الذي يلمع وسط السحابة، التي بدأت تمد الأرض بخيوط المطر الممتدة كالحبال ليسري الفرح وسط الرياض، وتغمرها البهجة، بعد أن داعبتها مياه دجلة العذبة، وضاحكت عذارنها، فإذا بها تتزين بمنثور اليواقيت اللامعة مع نور الشمس، ويبتهج الطير، فيخرج ليصدح شاديا مضيفا فتنة السمع إلى فتنة البصر، و يواصل

[1]– نديم مرعشلي – البحتري–(عصره،حياته، شعره.) ص 195..

الشاعر نسج لوحته، فإذا به يقف عند صورة النسيم، وهو يهز أغصان الأشجار كأنه مشهد الحسناوات يتمايلن في سيرهن ومن أبزر ما يستوقف المتأمل في هذه الصورة مشهد غروب الشمس على تلك الروضة فالشاعر يتبع أجزاء الصورة، و يستقصي جوانبها بلغة عذبة رقيقة، يبين من خلالها حركة قرص الشمس في السماء و ما تتركه من أثر على ظلال الأشجار، فتحركها عن أمكنتها تارة وتطاولها تارة أخرى، وهو مشهد اقترن في ذهن الشاعر بمشهد سحب لخيول لأعنتها في حال جموحا [1].

رسم الشاعر في لوحة أخرى مشهدا من مشاهد الرياض التي أسرت قلبه، و قد كانت هذه الروضة التي استوقفته نتائج تلاقح بين الثرى و الماء الزلال العذب ويهتم البحتري اهتماما فائقا بتشيكل هذه اللوحة البديعية، فيجمع لها من الألوان الزاهية الجميلة ما يبهر العيون و يأسر القلوب ،فهذا أبيض ناصع وهذا أحمر ساطع، وهذا أصفر فاقع، كما يحشد لها من التشبيهات الطريفة القوية، ما يجسد المعاني، ويشخصها، فالذي كأنه دمع التصابي في عيون الحسان، والأرجوان في حسنه وبهائه، وجمال منظره على الأرض، كالجواهر النفسية، والحواذن(نبات أصفر اللون)، وقد عانقته أشعة الشمس في ضحاها كأنه دنانير منثورة يقول في هذا[2]

لاَ زَالَ مُخْضَرٌّ منَ الرّوْضِ يَانِع بمُحْمَرٍّ من النَّورِ جاسِدِ
يُذَكّرُنَا رَيّا الأحِبّةِ علَيهِ كُلّمَا تَنَفّسَ في جُنْحِ مِنَ اللّيلِ بَارِدِ
شَقَائِقُ يَحمِلْنَ النّدَى، فكأنّهُ دُمُوعُ التّصَابي مِنْ خُدودِ الخَرَائِدِ

[1] نديم مرعشلي – البحتري(– عصره_حياته_شعره)، .ص 197
[2] البحتري الديوان ،ج1، ص 623،624.

وَمِنْ لُؤلُؤٍ في الأُمحُوَانِ مُنَظَّمٍ عَلى نُكَتٍ مُصْفَرّةٍ، كالفَرَائِدِ
كأنّ جَنى الحَوْذانِ، في رَوْنَقِ الضّحَى، دَنانيرُ تبرٍ مِنْ ثُؤَامٍ وَفَارِدِ
رِبَاعٌ تَرَدّتْ بالرِّيَاضِ، مَجُودَةٌ بِكُلّ جَدِيدِ الماءِ عَذبِ المَوَارِدِ
إذا رَاوَحَتْهَا مُزْنَةٌ بَكَرَتْ لَهَا شَآبِيبُ مُجْتَازٍ عَلَيْهَا، وَقَاصِدِ

ب – الربيع :

إذا كانت تلك صورة الرياض، و هي في أفضل أحوالها، وأجمل أثوابها فماذا عن الأرض في فصل الربيع؟ ذلك الفصل الذي استوطنت صورته، في مخيلة شاعرنا، وقرت عينه، وقلبه، لأنه بسمة الفصول وضحكة الطبيعة، ومورد الإيحاء والإلهام للشعراء، "فإذا به قبل كل شيء ابتسامة الكون جميعا... فطيف ناعم الظل خفيف الوطء، يخطر ساحبا وراءه بردا حريريا مزخرف الألوان متأنقا في التفاتته"[1]

كانت الحضارة الجديدة في عصر الشاعر منبعا عذبا ارتوى منه الشعراء، فدفعهم ذلك إلى إن يفيضوا في وصف جمال طبيعتهم بتعابير صور عذبة رقيقة " فكثر حديث الشعراء في العصر العباسي عن ألوان الزهور المختلفة، وجعلوا لكل لون منها دلالة معنوية خاصة، وكثيرا ما كانوا يتهادون بالزهور، ويرسلون مع الهدية، بطاقة فيها أبيات من الشعر.

كان ذلك كله مظهرا حضاريا فتح أمام الشاعر أفقا جديدا للوصف استغنى به في كثير من الأحيان عن نبات الصحراء البري و عن بعر الآرآم ، وما شبه من معالم الحياة البدوية القديمة[2].

[1] نديم مرعشلي، البحتري ، عصره ، حياته،شعره،ص 204
[2] عز الدين اسماعيل ، في الشعر العباسي،الرؤية والفن ،المكتبة الأكاديمية القاهرة مصر ط 1،1994–ص384

يأتي الوصف عند البحتري هذا الفصل، في غالبا من الأحيان مرتبطا بالمدح ، فانظر إليه في ميميته الشهيرة التي مدح بها الهيثم بن عثمان الغنوي كيف استطاع أن يجمع بين مفاتن الطبيعية هذا الفصل، و فضائل الممدوح وقد ابتدأ قصيدته بمقدمة غزالية يقول فيها: [1]

أكَانَ الصّبا إلاّ خَيالاً مُسَلِّما، أقامَ كَرَجْعِ الطّرْفِ، ثمّ تَصَرّما

أرَى أقصرَ الأيّامِ أحْمَدَ في الصِّبا وأطْوَلَهَا مَا كَانَ فيهِ مُذَمَّمَا

انتقل إلى مدح الهيثم، واختتمها أبيات بديعية تبرز مفاتن الربيع الذي وفدت طلائعه مشرقة، ورسله ضاحكة مستبشرة، فخلعت على الدنيا بردها الموشاة بأزهى وأبهى الألوان، وأجمل الأشكال، بعد طول عري ونوم ونثرت في أرجائها زكي الشذى، ولا يكتفي شاعرنا بهذا بل تستعين بالتشخيص و التجسيد لنقل انفعالاته، فيخلع على الربيع الصفات الإنسانية، كالطلاقة والاختيال والضحك، وبلغ من تشخيصه بان جعله يوشك أن يتكلم، ويبين عن لجمال والحسن الذي تجلى و فاض[2] "

يقول في ذلك:[3]

أتاكَ الرَبيعُ الطلقُ يَختالُ ضاحِكاً مِنَ الحُسنِ حَتّى كادَ أن يَتَكَـــلَّما

وَقد نَبَّهَ النَيروزُ في غَلَسِ الدُجى أوائِلَ وَردٍ كُنَّ بِالأمسِ نُـــــوَّما

يُفَتِّقُها بَردُ النَدى فَكَأنَّـــــــهُ يَبُثُّ حَديثاً كـــانَ أمسِ مُكَتَّمـــا

وَمِن شَجَرٍ رَدَّ الرَبيعُ لِباسُـــهُ عَلَيهِ كَما نَشَّرتَ وَشياً مُنَمـــنَما

[1] البحتري– الديوان ج4–ص2087
[2] فوزي عيسى، في الشعر العباسي،ص 173
[3] البحتري– الديوان،ج4–ص2090–2091

يستعين الشاعر بصورة ذات ظلال دينية حينما يرى الشجر، و قد لبس ثوب الربيع بعد عري في الخريف والشتاء، كأنه حاج لبس ثوبه بعد الإحرام، وكأني بالطبيعة ابتهجت، وامتلأت غبطة وسرورا بقدوم الربيع، فإذا بالأرواح تنتعش بعد طول خمول، و النفوس تبتهج، والآمال في الحياة تتجدد، قد قال معبرا عن ذلك [1]:

أحَلَّ، فأبْدَى لِلْعُيونِ بَشَاشَةً، وكَانَ قَذًى لِلْعَينِ، إذْ كانَ مُحْرِما

ورَقّ نَسيمُ الرّيح، حتّى حَسِبْتُهُ يَجيءُ بأنْفَاسِ الأحِبّةِ، نُعَّمَا

فَما يَحبِسُ الرّاحَ التي أنتَ خِلُّهَا، وَمَا يَمْنَعُ الأوْتَارَ أنْ تَتَرَنّما

حظيت هذه القصيدة باستحسان الدارسين والنقاد، ومنهم من اعتبرها من عيون الشعر العربي، و منهم من رآها دليلا قويا على شاعرية البحتري، و ذهب يستدل على ذلك بقوله: "على الرغم من دوران القصيدة، وكثرة إنشادها فقد بقي لها بهاؤها، ورونقها، وقدرتها على بث الشعور بالجدة والتجدد في نفس القارئ، كلما عايشها، و ليس ذلك إلا أنها وثيقة الصلة بأجمل ما في الكون من مظاهر، وبأثمن ما في أعماق الإنسان مشاعر[2]"

ذهب آخر إلى القول أن مثل هذا الوصف يبرز قدرة البحتري على اختيار التفاصيل الطريفة المحسوسة التي تتألف منها لوحات متناسقة تروع بإتلافها أكثر مما تروع بتفاصيلها، وتجري فيها الحياة والحركة النابضة، وتمتزج بها الانفعالات العاطفية الرقيقة[3]

[1] – البحتري –الديوان– ج 4،ص2091.

[2] حنا الفاخوري– الموجز في الأدب العربي و تاريخه – ج 2، ص399

[3] البحتري–الديوان–ج 1، ص388

كان الربيع حاضرا في كثير من قصائد البحتري، لأنه فصل تتجدد فيه الحياة، تنمو فيه الكائنات، تتفتح فيه الرياحين، تلبس الأرض حلة مزينة بأحسن وأجمل الألوان وتغرد الطيور بأعذب الألحان، فتسعد معها النفس .

يقول البحتري[1]:

هَذا الرَبيعُ يُسَدّي مِن زَخارِفِهِ وَشياً يَكادُ عَلى الألحاظِ يَلتَهِبُ

فوشي الربيع يلتهب على ألحاظ الشاعر، وهي يبرز شدة تعلق الشاعر بالربيع، و شغفه الكبير بقدومه .

ما يمكن أن نلمسه في مشاهد الطبيعة عند البحتري، هو اقترانها بفنون أخرى، كالمدح والغزل والوصف، لكنها تبدوا أكثر جلاءا ووضوحا في شعر المدح" و كأني البحتري لا يتخلى عن نزعته في تعظيم كل ما يتصل بالممدوح ليتخذ من ذلك مادة و طريقة انتقال [2]

مدح يونس بن بغا صديق الخليفة المعتز، بقصيدة وصف فيها السعادة الكبيرة التي تغمر الأصدقاء، وكانت وسيلته في ذلك مفردات الطبيعة الفاتنة من حوله، و التي سحرت العقول، وأخذت بجامع القلوب، فما كانت اللقاء بقعة طاهرة تزينت بروضة بهية، تعانقت فيها الخضرة النضرة، مع الإزهار متعددة الأشكال والألوان، كان ذلك صنيع الربيع الذي افتخر و بين فضله و مكانته، يقول الشاعر في ذلك:

شاهَدْتُ أيّامَ السّرُورِ، فَلَمْ أجدْ يَوْماً يَسرُّ كيَوْمِ دَعوَةِ يُونُسِ

[1] المصدر نفسه ج2- ص980

[2] ايليا الحاوي- فن الوصف و تطوره في الشعر الغربي ص 169

أدْنَى مَزَارٍ وَسْطَ أحْسَنِ بُقْعَةٍ، وأجَلُّ زُوّارٍ لأبْهَى مَجْلِسِ
في رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ يُشرِقُ نَوْرُهَا تُسْقَى مُجَاجَاتِ الغُيُومِ البُجَّسِ
فَخَرَ الرّبيعُ على الشّتَاءِ بِحُسْنِهَا وكَفَى حضُورُ الوَرْدِ فَقْدَ النّرْجسِ

ج – الطبيعة المائية والشامية:

احتفى البحتري بالطبيعة المائية ورسم فيها لوحات جميلة متعددة الأشكال والألوان، وكانت له معها حكايات لذيذة "هي حكاية الريشة الملهمة والحس الموهوب، والمشهد المطراز، والمعنى الذائب نغما في اطر اللوحة " [1]

مال الشاعر إلى هذه الطبيعة وتفاعل معها، ورسمها بدقة عالية، ولعل من أبرز ما اجتذبه نهر دجلة، الذي استوقفه غير مرة ناقلا جماله، وجمال الرياض التي حفت حوله، وهاهو يصف منزله بالعراق، فيدير عدسته إلى دجلة، فيخلع عليه من التشبيهات البديعية، ويصبغ عليه من الألوان المتعددة فماؤه في نقائه فضة مذابة، وأمواجه في زحفها دروع تتكسر على صفحة الماء، والنخيل تحف على حواشيه، والقماري تغني أو تبكي، فيرتجع الصدى في جنابته، يقول في هذا [2]

مَنْزِلٌ لي بالعِرَاقِ اخْتَرْتُهُ، لمْ يَشُبْ حُرَّ يَقيني فيهِ شَكّ
وَإذا دِجلَةُ مَدّتْ شَأوَها، وَجَرتْ جَرْيَ اللّجَينِ المُنسَبِكْ
عارَضَتْ رَبْعي بفَيْضٍ مُزْبِدٍ بَينَ أمواَجٍ تَسامَى، وَحُبُكْ
يَتَكَفّا النّخْلُ، في حافاتِها، بالقَماريّ تُغَنّي، أوْ تَبِكْ
حُنِيَتْ تلكَ العَرَاجينُ عَلى لؤلؤٍ غضٍّ وَخُوصٍ كالشّرَكْ

[1] خليل شرف الدين، الموسوعة الأدبية المسيرة (6) دار و مكتبة الهلال للطباعة و النشر بيروت – لبنان– 1996– ص 98
[2]

يعود الشاعر إلى بغداد مرة أخرى، ويستوقفه نهر دجلة في يوم تشتوي ممطر، فيستعين بالاستعارة الأنيقة، و التشبيه الطريف لنقل صورة الرياح، وهي تعبث بأغصان الأشجار، فتحدث صوتا يشبه صوت غناء (قخارق و ابن الخير) " و هما من المغنين المشهورين" [1]، وتجود السماء بأمطارها على الأرض، فتملؤها خيرا وبركة، ويفتر ثغر الروض، وتغمره الفرحة والسعادة كأنه جاء حاجا أو معتمرا، و يلجأ الشاعر إلى التجسيد والتشخيص فيصور مشهد المد و الجزر بين الرياض و المطر كأنهما يتناجيان أو يتعاتبان، يقول في هذا[2]:

رَضِينَا، مِن مُخارِقَ وَابنِ خَيرٍ، بصَوْتِ الأثْلِ، إذْ مَتَعَ النّهارُ
تُزَعْزِعُهُ الشَّمَالُ، وَقَدْ تَوَافَى عَلى أنْفَاسِهَا قطْرٌ صِغَارُ
غَداةَ دُجُنّةٍ للغَيْثِ، فيها، خِلالَ الرّوْضِ، حَجٌّ وَاعتِمارُ
كَأنّ الرّيحَ وَالمَطَرَ المُنَاجي خَوَاطِرَها، عِتَابٌ، وَاعتِذارُ
كأنّ مَدارَ دِجلَةَ، دجلة إذ توافت بأجْمَعِها، هِلالٌ، أوْ سِوَارُ

يجاري البحتري القدامى، في اتخاذ الطبيعة المائية، خاصة الأنهار و الأمطار، يكرم الممدوح، وقوة عطائه، حيث نراه في مدح أبي العباس، يشبهه في جوده بنهر دجلة فيقول[3]:

جارٌ لِدِجْلَةَ يَجْرِي مِنْ نَدَى يَدِهِ تَيَّارُ بَحْرٍ عَلَى تَيَّارِهَا طامِ

لم يكن اهتمام الشاعر مقصورا على دجلة فحسب، بل تعداه إلى أنهار أخرى تزخربها طبيعة بلاده الخصبة، فيها نهر الفرات، الذي تردد في ديوانه أحد عشر مرة، و قد اتخذه الشاعر كذلك رمزا لكرم الممدوح، و كثرة نواله،

[1] فوزي عيسى في الشعر العباسي ص 176
[2] البحتري– الديوان ج2، ص 961
[3] البحتري– الديوان ج4، ص 2098

فنراه في مدحه لأبي بكر محمد بن الفضل يشبهه بالفرات، و يراه يفيض بالخير كما يفيض هذا النهر العظيم بالماء، فيقول[1]:

فَتىً في كَفِّهِ أبَداً فُراتٌ يَفيضُ عَلى الرجالِ مَعَ النِساءِ

فَتىً ناديهِ مَكرُمَةٌ وَفَخرٌ لِأَربابِ المَفاخِـــــرِ وَالعَلاءِ

مثل ذلك مدح سعيد بن هارون ، الذي شبهه كذلك بالفرات في كثرة العطاء إذ يقول[2]:

حاز الفرات "إلى الشام" براحة هطالة بنواله المحمود

يظهر شغف الشاعر الكبير بالطبيعة المائية في وصفه البارع للسحابة الماطرة، التي قالها على البديهة استجابة لطلب المتوكل[3]

تذكر الروايات انه كان جالسا على حافة البركة والمطر يقع عليها فدخل البحتري، فطلب منه المتوكل أن يصف الحباب الناتج عن تساقط قطرات المطر في البركة [4] فنظم هذه المقطوعة البديعة التي جمع فيها بين صور متعددة صوتية و لونية و حركية، بدأها بوصف صوت الرعد فشبهه بزئير الأسد، ثم حدد شكل السحابة و حجمها، فهي"مجرورة الذيل في استدعاء لثوب العروس الطويل الممتد كناية عن أنها تملأ الأفق[5].

نقل صورتها، وهي تمطر،وما تحدثه من صوت، يمتزج بصورة البرق في لمعانه، كأنه سيوف هندية، وهي صورة لونية، ويختم المشهد كاشفا عن رحلة السحابة التي شدت رحالها من نجد وألقت حمولتها في هذا المكان باعثة

[1] المصدر نفسه، ص 2098
[2] المصدر نفسه، ج2–ص 819
[3] صالح حسن البظي – البحتري بين نقاد عصره ، ص 94
[4] أبو بكر الصولي – أخبار البحتري – تحقيق – د– صالح الأشطر – دار الفكر – دمشق 1964، ص 91
[5] فوزي عيسى – في الشعر العباسي– ص 175

الخير والسعادة في هذه البلدة الطاهرة، وما فيها من حدائق و برك و غدران و جداول يقول[1]:

ذاتُ ارْتِجَازٍ بحَنِينِ الرّعْدِ، مَجرُورَةُ الذّيلِ، صَدوقُ الوَعْدِ
مَسْقُوحَةُ الدّمْعِ، لغَيرِ وَجْدِ، لَهَا نَسيمٌ كَنَسيمِ الوَرْدِ
ورَنّةٌ مِثْلُ زَئِيرِ الأُسْدِ، ولَمْعُ بَرْقٍ كسُيوفِ الهِندِ
جاءَتْ بها ريحُ الصَّبَا مِنْ نَجْدِ فانتَثَرَتْ مِثْلَ انْتِثارِ العِقْدِ
فَرَاحَتِ الأَرْضُ بعَيشٍ رَغْدِ مِنْ وَشْيِ أَنْوَارِ الرُّبَى في بُرْدِ

ثنى الصولي على هذه المقطوعة، و ذكر أن المتوكل كافأ عليها البحتري بما في خزائن الدولة من ماء الورد العتيق[2]

يصف البحتري سحابا اشتد انصباب مائه حتى ملأ الأرض و غطى وجهها، و كانت الريح تسوقه، فتدينه حتى يكاد يلمس باليد، و زاد صوت الرعد المكان مهابة، والسحاب قوة، و كأنه يناجيه تارة، و ينجيه أخرى، يقول في ذلك[3]:

أما تَرَى العَارِضَ الْمُنهَلَّ دَانِيهِ قدْ طَبَّقَ الأَرْضَ ، وانحَلَّتْ عَزَالِيهِ
فالرِّيحُ تُزْجِيهِ تَارَاتٍ وتَحْدُرُهُ والرَّعْدُ يُنْجِيهِ طَوْراً أو يُنَاجِيـــــهِ

حينما تملأ دموع السحاب الأرض خيرا وبركة، يفتر ثغر الطبيعة، فتلبس حلة جميلة مزينة بأبهى الألوان، وما كان للطبيعة، أن تكون بهذه الصورة، لو منعت السماء قطرها، يقول الشاعر[4]:

يَبْكِي فَيَضْحَكُ وَجْهُ الأَرْضِ عن زَهَرٍ كالْوَشْيِ بَلْ لا تَرَى وَشْياً يُدَانيهِ
ما زَالَ يَسْكُبُ سَحًّا مُسْبِلاً غَـــــدَقاً لا يَسْتَفِيقُ ، ولَـــي عَيْنٌ تُبارِيهِ

[1] البحتري الديوان ج1 ص 567– 568
[2] أبو بكر الصولي، (أخبار البحتري تحقيق الدكتور صالح الأشطر، ص 91
[3] البحتري – الديوان ج 4 ، ص 570
[4] البحتري – الديوان ج 4 ، ص 2444

ارتبط السحاب في الغالب بمشهد الغيث، و الأمطار، و يستمر الشاعر في هذا العصر الطبيعي لإفصاح عن جملة من عواطف والمشاعر فنراه يستعين بخياله الخصب في تجسيد بعض المعاني، فإذا به يرى البرق يذيب السحب، ويقضي عليها، فتحمل ريح صبا الغيث وتنثره على الثرى، فتنبعث الروائح الزكية، ويلمع البرق مشيعا ضوءه على سطح الماء كأنه ضوء القمر، فتتآلف هذه الصور ليصفح عن مشهد عظيم، تكشف عنه الشاعر بقوله[1]:

غيثٌ أذابَ البرقُ شحمةَ مزنهِ والرِّيحُ تنظمُ منه حبَّ الجوهرِ

وُّما طارتْ بـــــه ريحُ الصّـَبا من بعدِ ما انغمستْ به في العنبر

ويُضيءُ تحسبُ أنَّ ماءَ غمامهِ قمرٌ تقطَّع في إناءٍ أخضرِ

[1] المصدر نفسه ج4، ص 2444

المبحث الثاني: العمران عند البحتري:

وصف القصور العباسية:

اهتم العباسيون اهتماما كبيرا بمظاهر الحضارة و العمران، و تفنن الخلفاء والوزراء في بناء القصور، حتى ليشبه بعضها مدنا صغرى تمتلئ بالأبنية والأفنية والأساطين والقباب والبساتين والجداول والبرك والنافورات مع التأنق في أبوابها ونوافذها وشرفاتها، وزخرفة حيطانها بالنقوش والصور وتعليق الستائر الحورية عليها، ما يموج فيها من البسط التحف المرصعة بالجواهر[1]

اشتهر المتوكل بقصوره الباذخة "وكان كلما بنى قصرا اتبعه بأخر، حتى بلغت قصوره نحو العشرين، وهي" بركوار(دار الهناءة) والشاه والعروس والبركة والجوسق، والمختار والجعفري والغريب والبديع...

بلغ ما أنفقه على تلك القصور مائتين وأربعة وسبعين مليونا من الدراهم، وكان البرج من أجملها زينة إذ جعل فيه صورا عظيمة من الذهب و الفضة، وبركة جعل فرشها ظاهرا وباطنا صفائح الفضة، وشجرة ذهب على أغصانها و فروعها طيور تغرد و تصفر مكللة بالجوهر، وسميت طوب (من أشجار الجنة)

اتخذ له سريرا كبيرا من الذهب عليه تمثال، ودرج عليه صور السباع و النسور، وألبست حيطان القصر من الداخل و الخارج بالفسيفساء و الرخام المذهب....

اتصل البحتري بستة من خلفاء بني العباس، و كان مقربا من اغلبهم و أتاح له ذلك أن يرى هذه القصور الباذخة عن قرب، ويعيش في هذه الأجواء

[1] د- شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني- ص 78

الأسطورية، فانبهر بهذه القصور، وجعلها من ابرز موضوعاته الوصفية، ونراه يطيل في" الوصف القصور الفاخرة وحدائقها الناضرة فيذكر: قصر الساج، والقصر الجعفري، والجوسق والبديع والصبيح، وكلها من القصور المتوكل الذي لم يفق غرامه بالبناء القصور إلا شغف عبد الرحمان الناصر بها في الأندلس.

يؤلف البحتري بين هذه القصور من خلال وصفه إياها، ويظهرها مثل باقة من الزهر ندية وروضة من النور نظيرة ، مزيجا بين ريشة الرسام، و سليقة الشاعر الفنان

امتزج وصف البحتري للقصور بالمدح، فصار جزءا هاما من بنية القصيدة، لا ينفصل، عنها فقد وصف قصر (المعشوق) الذي بناه المعتمد في الجانب الغربي من الدجلة قبالة سمراء، فقال بعد أن فرغ من المدح[1]

لا زَالَ مَعشُوقُكَ يُسْقَى الحَيَا من كلّ داني المُزْنِ وَاهي الخُرُوقْ

فَمَا خَلَوْنَا مُذْ رأيْنَاهُ منْ فَتْحِ جَديدٍ، وَزَمَانٍ أنِيقْ

أشرَفَ، نَظّاراً إلى مُلْتَقَى دِجْلَةَ، يَلْقَاهَا بوَجْهٍ طَليقْ

وَطَالَعَ الشّمسَ، على مَوْعِدٍ، بمثلِ ضَوْءِ الشّمسِ عندَ الشّرُوقْ

لَمْ أرَ كالمَعْشُوق قصْراً بَدَا لأعْيُنِ الرّائِينَ، غَيرَ المَشُوقْ

هَذَاكَ قَدْ بَزّزَ في حُسْنِهِ سَبْقاً، وَهذا مُسرِعٌ في اللّحُوقْ

يصف البحتري، حسن قصر (المعشوق)، يعبر عن انبهاره به يؤكد أنه لم يرى يضاهيه حسن غير قصر (المعشوق) وهو قصر عظيم قرب سمراء ينسب إلى الخليفة، وهوعلى الدجلة و بإزائه بالكاتب العربي" المعشوق" .

وَكأنّ قصرَ السّاج خُلّةُ عاشقٍ بَرَزَتْ لِوَامِقِها بوَجْهٍ مُونِقِ

[1] البحتري الديوان ، ج3 ، 1463، 1464

قصْرٌ، تكامَلَ حُسنُهُ في قلْعَةٍ بَيضَاءَ وَاسطَةٍ لبَحرٍ مُحدِقِ
داني المَحَلّ، فلا المَزَارُ بشاسِعٍ عَمّنْ يَزُورُ، وَلا الفِناءُ بضَيّقِ
قدّرْتَهُ تَقْديرَ غَيرِ مُفَرِّطٍ وَبَنَيْتَهُ بُنْيانَ غَيرِ مُشَقِّقِ
وَوَصَلْتَ بَينَ الجَعفَرِيّ وَبَيْنَهُ بالنّهْرِ يحمِلُ مِن جُنوبِ الخَندَقِ
نَهرٌ، كأنّ المَاءَ، في حُجُراتِه إقْرِنْدُ مَتْنِ الصّارِمِ المُتَأَلِّقِ
فإذا الرّياحُ لَعِبنَ فيهِ بَسَطن من مَوْجٍ علَيهِ مُدَرَّجٍ، مُتَرَقرِقِ
أَلِحقْهُ، يا خَيرَ الوَرَى بمَسيلِهِ وَامدُدْ فُضُولَ عُبَابِهِ المُتَدَفّقِ
فإذا بَلَغتَ بهِ البَديعَ، فإنّمَا أنزَلْتَ دِجلَةَ في فِنَاءِ الجَوْسَقِ

و في معرض مدح معتز بالله يصف البحتري قصر "الساج"، فيقول[1]:

وفي معرض مدح المعتز بالله أيضا يصف ا لبحتري قصر (الكامل)فيقول[2]:

لما كملت روية وعزيمة أعملت رأيك في ابتناء "الكامل"
وغدوت من بين الملوك موفقا منه لأيمن حلة ومنازل
ذعر الحمام وقد ترنم فوقه من منظر خطر المزلة هائل
رفعت لمنخرق الرياح سموكه وزهت عجائب حسنه المتخايل
وكأن حيطان الزجاج بجوه لجج يمجن على جنوب السواحل
وكأن تفويف الرخام إذا التقى تأليفه بالمنظر المتقابل
حبك الغمام رصفن بين منمر ومسير و مقارب ومشاكل
لبست من الذهب الصقيل سقوفه نورا يضيء على الظلام الحافل
فترى العيون يجلن في ذي رونق متلهب العالي أنيق السافل
فكأنما نشرت على بستانه سيراء وشى المنة المتواصل

[1] الحبتري ديوان ج3-1479-1480
[2] شعر الشعراء في العصر العباسي، ص 816

إن البحتري يقف مشدوها أمام عظمه قصر(الكامل)، فيصف ارتفاعه الشاهق حتى إن الحمام الذي يترنم فوقه يشعر بالذعر والخطر من سموقه، و قد ارتفعت الأعمدة و أسقفته، وبهر الأعين بعجائب و بديع صنعه، فكأنها حيطانه البللورية الشفافة المتموجة كأمواج البحر التي تموج على الشطآن، وكأن الرخام المفوق الذي يكسو جدرانه و حطانه، أشبه بطرائق السحب ذات البقع المختلفة الألوان وكأن سقوفه الذهبية أشعة الشمس المضيئة التي تحيل الظلام نهارا وتحار العيون وهي تشاهد هذا القصر الباذخ بسقوفه الذهبية المضيئة وأناقة أرضيته الرخامية، وبستانه بألوان الزاهية، وكأن برودا يمنية موشاة بالحرير أو ذهب الخالص نشرت على صفحته.

ويمضي الشاعر في وصف المطر متخذا منه رمزا ومعادلا لكرم الممدوح و جوده، فهو يرى أن ممدوحه الممدود اليد شبيه بالمطر، الذي يغمر الناس بالخير و البركة فيخرج له خيرات كثيرة، وقد لا يكتفي الشاعر بها فيجعل الممدوح أفضل من المطر، لأن عطاء المطر يتوقف وعطاؤه لا يتوقف يقول [1]:

صَامِتِيٌّ، يَمُدُّ في كَرَمِ الفِعْـــ ـــلِ يَداً مِنْهُ تَخْلُفُ الأنْوَاءَ

فَهْوَ يُعطي جَزْلاً، ويُثني عليَه ثُمّ يُعْطي على الثّنَاءِ جَزَاءَ

وَكَذَاكَ السّحابُ لَيسَ يَعُمُّ الـ أرْضَ وَبْلاً، حتى يَعُمّ السّمَاءَ

وَجَرَى جُودُهُ رَسيلاً لجُودِ الـــ ـــغَيْثِ مِنْ غَايَةٍ، فَجاءَ أسَوَاءَ

ومن مدائحه التي استعان فيها بالطبيعة المائية اتخذها سبيلا للولوج إلى قلب الممدوح، قصيدته في مدح المتوكل، أنشدها مهنأ إياه بعيد الفطر، وهو في هذه

[1]– البحتري – الديوان– ج 1، ص15.

المدحة، لا يخرج عن المألوف، إذ أن جلى معانيه تناولها الشعراء وأسرفوا فيها، فالمتوكل كريم يتجاوز عطاء الأمطار وسخاءها، يقول في هذا[1]

أبَرّعَلى الأَلْوَاءِ نَائِلُكَ الغَمْـــــرُ وَبِنْتَ بفَخْرٍ مَا يُشاكِلُهُ فَخْـــــــرُ

وَأَنْتَ أَمِينُ اللهِ في المَوْضِعِ الّذِي أَبَى اللهُ أنْ يَسمو، إلى قدرِهِ، قَدْرُ

ويسهب الشاعر في إبراز كرم ممدوحه، وحتى ينقل الدلالات التي تموج في خاطره يعمد إلى الصور اللطيفة فنراه يجعل القطر يتبع الخليفة في مسيره إلى دمشق،وهو في العطاء كالمطر،ولا يكتفي الشاعر بذلك ،بل نراه يجعله في مرتبة واحدة مع البحر في جوده ،وساعة نواله وكثرة عطاياه ،يقول[2]:

هَنيئاً لأهْلِ الشّامِ، إنّكَ سَائِرٌ إلَيْهِمْ مَسيرَ القَطْرِ، يَتبَعُهُ القَطْرُ

تَفيضُ كمَا فاضَ الغَمامُ عَلَيْهِمِ، وَتَطْلُعُ فيهِمْ مثلَما يَطْلُعُ البَدْرُ

جُودُكَ وَالبحرُ :وَكانَ لَهُمْ جادينِ وَلَنْ يَعدَمُوا حَسناً، إذا كنتَ فيهِمِ،

ولعل شغف بالطبيعة المائية، دفعه لأن تستمد المعاني والصور حتى في مواقف الرثاء، واستثمار الشاعر لهذا المنبع العذب قي مرثياته، يعود إلى ما وجده فيه من قدرة على تجسيد صفات المرثي والتعبير عن مشاعر الحزن و الألم، ومن أمثلة ذلك، ما جاء في رثاء القائد الثغري، إذ يقول[3]:

أينَ السّحابُ الجَوْدُ، وَالقَمَرُ الذي يَجلُو الدّجَى، وَالضّيغَمُ الضّرْغَامُ

وَلّى، وَقد أوْلَى الورَى من جُودِهِ نِعَماً، يَقُومُ بِشُكْرِهَا الأقوَامُ

---

[1]– المصدر نفسه ج2، ص992.

[2]– المصدر نفسه ج2، ص992

[3]– البحتري –الديوان– ج3، ص1949.

فالشاعر يتكئ على مفردات الطبيعة حتى يفصح عن صفات الفقيد، ويكشف عن مناقبه، فيشبهه بالسحاب في الجود، والقمر علو الهمة.

تبدو الطبيعة المائية في الأرجوزة التي يصف فيها البحتري سحابة ممطرة وصفا يبلغ فيه قمة الإجادة.

يعتمد البحتري في وصف السحابة على الصور الصوتية ممثلة في صوت الرعد في مستهل الأبيات، ووصفها بأنها مجرورة الذيل في استدعاء لثوب العروس الطويل الممتد كناية عن أنها تملأ الأفق، ويصف صوتها، وقد أخذت تمطر بصوت زئير الأسد، وهي صورة صوتية أخرى، ويرد فيها بصورة لونية تتمثل في لمعان البرق وتشبيهه بالسيوف الهندية، ويصور رحلة السحابة وقد جاءت بها الرياح من نجد، فألقت حمولتها متفرقة وأحيت الأرض، فازدادت بالأزهار الموشاة، والخضرة المعشوشبة، وقد امتلأت الغدران والجداول بالمياه وتناثر الحباب فوقها كقطع البرد.

انتقل إلى وصف البركة، وتفنن في إبراز جمالها وسحرها، فهي بركة واسعة الأرجاء جميلة دقيقة الصنع، تنافسها دجلة وتباهيها، وتعد قصيدة البحتري في وصف بركة الجعفري من دور شعره، وهي بركة صناعية، وقد وفر لها المتوكل كل مظاهر الجمال والروعة والإتقان، وأمدها بالمياه من خلال قنوات عديدة ووضع فيها الأسماك، ورسم على جدرانها صورا رائعة وأحاطها بالحدائق المزهرة وقد أبدع البحتري في وصفها، فقال[1]:

يا مَنْ رَأى البِرْكَةَ الحَسْنَاءَ رُؤيَتُها والآنِسَاتِ، إذا لاحَتْ مَغَانِيها

بحَسْبِهَا أنّها، في فَضْلِ رُتْبَتِها تُعَدُّ وَاحِدَةً والبَحْرُ ثانِيها

ما بَالُ دِجْلَةَ كالغَيْرَى تُنَافِسُها في الحُسْنِ طَوْراً وأطْوَاراً تُباهِيهَا

[1]– البحتري، –الديوان– ج3، ص1953

أمَا رَأتْ كالىءَ الإسلامِ يَكْلأُهَا مِنْ أنْ تُعَابَ، وبَاني المَجدِ يَبْنيهَا
كَأنّ جِنّ سُلَيْمَانَ الذينَ ولُوا إبْداعَهَا، فأدَقّوا في مَعَانِيهَا
فَلَوْ تَمُرُّ بهَا بَلْقِيسُ عَنْ عَرَضٍ قالَتْ هيَ الصّرْحُ تَمثيلاً وتَشبيهَا
تَنْحَطُّ فيها وُفُودُ المَاءِ مُعْجِلَةً كالخَيلِ خَارِجَةً من حَبْلِ مُجريهَا
كأنّما الفِضّةُ البَيضاءُ، سَائِلَةً مِنَ السّبائِكِ تَجْري في مَجَاريها

يفتتن البحتري في وصف تلك البركة الحسناء التي تفوقت بامتداد مساحتها على البحر حتى يعد في مرتبة تالية لها، ويقصر دون محاسبتها وحتى لتغار منها دجلة فتود أن تنال من الحسني ما نلته البركة حتى تنافسها وتباريها، وقد بلغت البركة من الحسني مبلغا عظيما، وكأنها من إبداع الجن، جن سليمان الذين أتقنوه صنعها، وافتنوا في تحسنيها حتى لو شاهدتها "بلقيس" على حين غرة لظنتها الصرح المصقول من البللور الشفاف.

وتتولى المشاهد فهذه مياه تنصب من النهر إليها وفودا، كأنها خيل في حلبة السباق "وتطل النجوم رانية إليها بشوق منعكسة فيه جنباتها فنشهد من تزاوج الصفاء والنور، سماء تنبسط على صفحة الأمواه[1].

وهذا منظر الأسماك فيه أسفلها وأعلاها، وهي تسبح في حيوية كبيرة محركة زعانفها كالطيور السابحة في الفضاء، وبالقرب منها صورة الدلفين على الحائط ينغص عليها لهوها، وقد حفت حواليها رياض جميلة، تزينت بمختلف الألوان والأزهار، ورسمت لها صورة زاهية هي أقرب إلى ريش الطاووس في بهائها، وتناسق ألوانها، يقول[2]:

تَنْحَطُّ فيها وُفُودُ المَاءِ مُعْجِلَةً كالخَيلِ خَارِجَةً من حَبْلِ مُجريهَا
كأنّما الفِضّةُ البَيضاءُ، سَائِلَةً مِنَ السّبائِكِ تَجْري في مَجَاريها

[1]– ايليا الحاوي،فن الوصف، وتطوره في الشعر العربي، ص 167.
[2]– البحتري –الديوان–، ج2، ص2414–2418.

إذاعَلَتْهَا الصَّبَا أبدَتْ لهَا حُبُكاً مثلَ الجَوَاشِنِ مَصْقُولاً حَوَاشِيهَا
فَرَوْنَقُ الشّمسِ أحْياناً يُضَاحِكُها وَرَيّقُ الغَيْثِ أحْيَاناً يُبَاكِيهَا
إذا النُّجُومُ تَرَاءَتْ في جَوَانِبِهَا لَيْلاً حَسِبْتَ سَمَاءً رُكّبتْ فيهَا
لا يَبلُغُ السّمَكُ المَحصُورُ غَايَتَهَا لِبُعْدِ ما بَيْنَ قَاصِيهَا وَدَانِيهَا
يَعُمْنَ فيهَا بِأوْسَاطٍ مُجَنَّحَةٍ كالطّيرِ تَنقَضُّ في جَوٍّ خَوَافيهَا
لَهُنّ صَحْنٌ رَحِيبٌ في أسَافِلِهَا إذا انحَطَطْنَ، وَبَهْوٌ في أعَاليهَا
صُورٌ إلى صُورَةِ الدُّلْفِين، يُؤنِسُها مِنْهُ انْزِوَاءٌ بِعَيْنَيْهِ يُوَازِيهَا
تَغنَى بَسَاتِينُهَا القُصْوَى برُؤيَتِهَا عَنِ السّحَائِبِ، مُنْحَلاً عَزَاليهَا
مَحْفُوفَةٌ برياضٍ، لا تَزَالُ تَرَى رِيشَ الطّوَاويسِ تَحكِيهِ وَتَحكيهَا

المبحث الثالث: وصف الحيوان:

أ-وصف الخيل والفرس :

امتلك البحتري أوصافا بديعة في الحيوان كالخيل و الإبل و الذئب و الأسد، وقد برع بصفة خاصة في وصف الخيل و أشار إلى ذلك أبو الهلال العسكري فقال إن البحتري : "أوصف المحدثين للخيل و أكثرهم إجادة في نعتها "، وكان ذلك شيئا طبيعيا من شاعر وصاف يشاهد الخيل في السلم و الحرب، و يراها في حلبات السباق، كانت قي منتهى قصر الخليفة من جهته الشرقية خلف السرداب وكانت تتكون من حلقة مستطيلة تمتد طولا إلى جهة الشرق، وكانت تمتد مسافة خمسة كيلومترات ونصف، و كان هناك ثلاث حلبات أقدمها " حلبة بيت الخليفة " ويرجع أنها أنشئت في عهد المعتصم، تليها حلبة " تل العليق" التي أنشئت في عهد المتوكل ثم الحلبة الأخيرة و أنشئت في عهده أيضا[1]

شاهد البحتري مجتمع الخيل في تلك الحلبة و ما كان يجري فيها من رهان أو سباق، فوصفها وهي تتأهب للرهان، وشبهها بالأنجم التي تضيء الظلام و رآها للوحة البديعة أحسن مصور ماهر عنهم ب(الغريان) وأشار إلى السروج الحريرية المنقوشة الموضوعة على الخيل حذار من نفورها، والحبال المشدودة في صدورها، و يصف انطلاقها في السباق و هي تسابق الرياح في سرعتها و قد أضاءت الظلام بعد مغيب الشمس، يقول البحتري واصفا حلبة الخيل ومادحا الخليفة من خلال الوصف [2]:

يا حُسنَ مُبدي الخَيلِ في بكورها تَلُوحُ كالأنْجُمِ في دَيْجُورِهَا

كأنّما أبْدَعَ، في تَشْهِيرِهَا مُصَوِّرٌ حَسّنَ مِنْ تَصْوِيرِهَا

تَحمِلُ غِرْبَاناً عَلى ظُهُورِهَا في السرَقِ المَنقُوشِ، من حَرِيرِهَا

[1]- أحمد سوسة سامراء، - مطبعة المعارف - بغداد 1948، ج1، ص171.

[2]- البحتري - الديوان- ج 2، ص1043-1044

إنْ حَادَرُوا النَّبْوَةَ مِنْ نُقُورِها أهْوَوْا بأيْدِيهِمْ إلى نُحُورِهَا

يشير البحتري في قصيدة أخرى إلى الصفات التي يتجلى بها الفرس الذي أعد للغزو، فهو إما أشقر ساطع يغشى لوغى كالكوكب المتأجج متسربلا سرجا موشى حسن الألوان، وقد صبغت جوانه للدماء العدو وإما أن يكون أدهم صافي السواء كأنه مصبوغ باللون الأسود بصبغه تسمى "اليردنجع "، شديد الاندفاع، يغضبه و يهيجه السوط كما تزيد ريح الجنوب نيران شجر العرفج اشتغالا، وإما أن يكون أشهب شديد البياض ناصعه أو أبلق في لونه سواد و بياض و قد ارتفع التحجيل فيه إلى فخذين إلى غير ذلك من صفات تدل على خبرة البحتري بالخيل و تمرسه بصفاتها و طبائعها يقول [1]:

فأعن على غزو العدوِّ بمنطوٍ أحشاؤه طيَّ الكتاب المدرج
إمَّا بأشقر ساطع أغشى الوغى منه بمثل الكوكب المتأجِّج
متسربل شية طلت أعطافه بدم فما تلقاه غير مضرَّج
أو أدهم صافي السَّواد كأنَّه تحت الكميِّ مظهَّر بيرندج
ضرم يهيج السَّوط من شؤبوبه هيج الجنائب من حريق العرفج

إذا كان البحتري قد أغرب فان أوصافه للخيل في قصيدته كانت أقرب إلى الشعر التعليمي أو الشعر الجاف الذي ليس فيه ماء، و ذلك على خلاف ما تراه في أوصافه للخيل بعامة لاسيما في هذا الوصف البديع لفرس في معرض قصيدة مدح إذ يقول[2]:

أمّا الجَوَادُ، فقَدْ بَلَوْنَا يَوْمَهُ وكَفَى بيَوْمٍ مُخْبِراً عَنْ عَامِهِ
جَارَى الجِيَادَ، فطَارَ عَنْ أوْهامها سَبْقاً، وكَادَ يَطيرُ عَنْ أوْهَامِهِ
جَذْلانُ، تَلْطُمُهُ جَوَانبُ غُرّةٍ جَاءَتْ مَجيءَ البَدْرِ عِندَ تَمَامِهِ

[1]– البحتري – الديوان– ص 402،405.
[2]– البحتري – الديوان– ج3،ص 1985–1988.

وَاسْوَدّ ثمَّ صَفَتْ، لعَيْنَيْ نَاظِرٍ جَنَبَاتُهُ، فأضَاءَ في إظْلامِهِ
مَالَتْ جَوَانِبُ عُرْفِهِ، فكَأنّهَا عَذَبَاتُ أثْلٍ مَالَ تَحتَ حَمَامِهِ
وَمُقَدَّمِ الأُذُنَين، تَحْسِبُ أنّهُ بِهِمَا يَرَى الشّخْصَ الذي لأمَامِهِ
يَختَالُ في استِعرَاضِهِ وَيُكبُّ في اســـــــ تدْ بارِهِ، وَيَشِبُّ في اسْتِقْدَامِهِ

وصف البحتري للفرس هنا ينبض بالصور البديعة لا يسما تلك التي تعتمد على الحركة المستمدة من حركة الجواد و سرعته، فهو إذا بارى الجياد سبقها حتى إن سرعته تفوق التصور و تعلو عن الأوهام، كما يلتفت البحتري إلى جمال الفرس، حسن منظره و هيئته، فهو يصور أحسن تصوير لبياض جبهته الذي يشبه بدر التمام برغم سواد لونه، كما يتوقف أمام جمال أذنيه وطولها ويتابعه كمصور بارع وهو يختال في استعراضه ..[1]

ب-وصف الأسد :

كان للأسد حضور في قصائد الشعراء العرب، من خلال إبراز قوة هذا الحيوان و شدة بأسه، وشجاعته كما جمعوا له أكثر من خمسمائة اسم و صفة منها[2]: أسامة، حبيل، حلبس، حيدرة، الحادر، الضرغام ، الضيغم، كما حددوا أسماء الأماكن التي تنسب إليه مثل : الشرى، حفان، عود، حاملة، الملاحيظ [3] من جانبه البحتري إذ احتفى بهذا الحيوان، وجعله كرمز لقوة الممدوح وشجاعته وشدة بأسه .

من بين ما قاله بائيته الشهيرة التي نقل فيها الشاعر وقائع العراك الشهير الذي نشب بين الفتح بن حاقان وأسد فذ الشجاعة، وهي القصيدة التي أشاد بها القاضي الجرجاني، ورأى أن لولاها لانفرد المتنبي وحيدا في هذا المجال، فقال

---

[1]- فوزي عيسى في شعر العباسي ، جامعة الإسكندرية – دار المعارف الجامعية- 2008 مصر، ص203-204.
[2]- شكير هادي الشكر، الحيوان في الأدب العربي – مكتبة نهضة العربية- ط 1 ، 1985 ج 1 ، ص96 بتصرف.
[3]- علي أحمد الخطيب فن الوصف في الشعر الجاهلي- دار المصرية اللبنانية القاهرة- ط 1، 2004، ص187 بتصرف.

في حق البحتري: " إن البحتري فيه قد استوفى المعنى وأجاد في الصفة ووصل إلى المراد"[1]

وهو يقول في مستهل قصيدته مبرزا شجاعة الممدوح و حسد حاسدين[2]:

وَمَا نَقِمَ الحُسّادُ إلاّ أصَالَـــــةً لَدَيْكَ، وفعْلاً أرْيحيّاً مُهَذَّبـــا

وَقَدْ جَرّبُوا بالأمسِ منكَ عَزِيمَةً فَضَلْتَ بها السّيفَ الحُسَامَ، المُجَرَّبَـا

بعدها يمضي إلى وصف الأسد فيقول :

غَداةَ لَقيتَ اللّيثَ، واللّيثُ مُخدِرٌ يُحَدّدُ نَاباً للّقَاءِ وَمُخْلَبَـــــا

يُحَصّنُهُ منْ نَهْرِ نَيْزِكَ مَعْقِلٌ مَنيعٌ، تَسَامَى غابةً وَتَأشّبَـــا

يَرُودُ مَغاراً بالظّواهِرِ مُكثِباً وَيَحْتَلُّ رَوْضاً بالأباطِحِ مُعْشِبَـــا

يُلاعِبُ فيهِ أقْحُواناً مُفَضَّضاً يَبِصُّ، وَحَوْذاناً على المَاءِ مُذْهَبَـا

كان الأسد مستتر في عرينه المعشب يحيط به الماء الغزير من كل جانب يذهب ويجيء، وينتقل بين الجبل و اعلي الوادي دون أن يخشى في ذلك شيئا، يطوف حول الرياض المعشبة، كمالك أخذته العزة بنفسه، يوزع نظراته ذات اليمين و ذات الشمال على هذه الطبيعة الخلابة التي أحاطت به من زهر أقحوان مفضض، و زهر حوذان مذهب ثم يسترسل الشاعر في إبراز الحرية التي ينعم بهذا هذا الأسد إذ يقول:

إذا شاءَ غَادَى عَانَةً، أو غَدا عَلى عَقَائِلِ سِرْبٍ، إنْ تقنّصَ رَبرَبا

يَجُرُّ إلى أشبالِهِ كُلَّ شَارِقٍ عَبيطاً مُدَمَّى، أوْ رَمِيلاً مُخَضَّبَا

---

[1]– صالح حسن اليظي دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزيع –بيروت– لبنان

[2]– البحتري – الديوان– تحقيق شرحه و تعليق حسن كامل الصيروفي، دار المعارف القاهرة ط 3 ج1 : ص199 بتصرف

وَمَنْ يَبْغِ ظُلماً في حريمِكَ يَنصرِفْ إلى تَلَفٍ، أو يتنَ خَزْيانَ، أخْيَبَا

ملك الأسد هذه البقعة،وأطلق فيها يده للصيد، فيقتنص ما شاء من حمر الوحش

أو بقرها وكآرام الإبل ليقدمها بدمائها إلى أشباله بعد أن توزع الشمس أول خيوطها الذهبية، مقدما دليلا على ما ارتكبه هذا الأسد ليكون بذلك يستحق مالحقه من عقاب .

بعد هذا الشهد انتقل الشاعر للوقوف على أطوار المعركة المحتدمة بين الأسدين فيقول[1]:

شَهِدْتُ لقَدْ أنْصَفْتَهُ يَوْمَ تَنبَرِي لهُ مُصْلِتاً عَضْباً من البِيضِ مِقضَبَا

فلَمْ أرَ ضِرْغَامَينِ أصْدَقَ منكُمَا عرَاكاً إذا الهَيّابَةُ النّكسُ كَذّبَـــــا

هِزَبْرٌ مَشَى يَبغي هِزَبْراً، وأغلَبٌ منَ القَوْمِ يَغشَى بَاسلَ الوَجهِ أغلَبَا

أدِلَّ بِشَغْبٍ ثُمّ هَالَتْهُ صَوْلَةٌ رَآكَ لها أمضَى جَناناً، وأشغَبَـــــا

فأحجَمَ لَمّا لَمْ يَجِدْ فيكَ مَطمَعاً وأقدَمَ لَمّا لمْ يجدْ عَنكَ مَهرَبَـــــا

فَلَمْ يُغْنِهِ أنْ كَرّ نَحوكَ مُقبلاً ولَمْ يُنجِهِ أنْ حَادَ عَنكَ مُنكّبَـــا

حمَلتَ عَليهِ السّيفَ لا عَزْمُكَ انثنى وَلاَ يَدُكَ ارتَدّتْ، ولا حَدُّهُ نَبـَـا

في هذه الأبيات تصوير بليغ لمعركة بين أسدين مبرزا شجاعتهما و شدة بأسهما فكلاهما يصدر زئيرا ليزرع الرعب مني خصمه لكن الفتح بصولته و رباطة جأشه أدخل الرعب مني قلب الأسد، فجعله مترددا بين التقدم أو الرجوع للخلف إذ لم يجد بدا من المواجهة فاندفع نحو الفتح الذي حمل عليه بسيفه فارداه صريعا، و هنا البحتري أوجد لنفسه طريقة جديدة تذيب فيها قوة الطبع

[1]– البحتري – الديوان– ج 1، ص200

في الصنعة البديعية من جرائر التكلف فإلى جانب الطباق المستخدم بمهارة فائقة، تتناغم كلمات شطري البيت في موسيقى أخاذة ، على نفس الوتيرة تسير بقية الأبيات [1]، كما حاول الشاعر لإتيان بمعان جديدة إذ شبه الرجل في الشجاعة وهو من أبسط أساليب التشبيه، كما قابل بين ضرغامين و هزيزيين ناحيا فيه بشكل يوهم بالابتكار [2].

ج-الظبي و الغزال :

عمد العرب ومنذ القدم على تشبيه المرأة في الغزل أو النسيب بما يناسبها من صور ومكنونات الطبيعة المختلفة، ولعل من أبرزها الحيوانات البرية كالغزلان والظباء، فذهبوا يستقصون كل الصفات المشتركة بين المشبه والمشبه به وكان وجه الشبه كل ما يعمل صفة الجمال والبهاء، راسمين بذلك لوحات فنية بديعة حاكتها قرائحهم الشعرية، حيث شبهوا عيون الحسان وخصورهم النحيلة وبطونهن الضامرة بعيون الغزلان، وخصورها وبطونها، وشبهوا أعناقهن بأعناق الظباء، كما وقفوا عند حركاتهن والتفاتتهن، فوجدوا ما يوفقها .

ظل هذا التقليد ساريا حتى في العصر العباسي، فالبحتري مثلا يستوحي صور وأوصاف محبوتيه من الطبيعة التي أسرت قلبه، إذ يقول[3] :

إنّ الظّبَاءَ، غَداةَ سَفحِ مُحَجَّرٍ هَيّجْنَ حَرّ جَوًى وَفَرْطَ تَذَكُّرِ
مِن كلّ ساجي الطّرْفِ، أغيدَ أجيدٍ وَمُهَفْهَفِ الكَشحَينِ أحوَى أحورِ
أقبَلْنَ بَينَ أوَانِسٍ مالَ الصّبَا بِقُلُوبِهِنّ، وَبَينَ حُورٍ نفّـــــــرِ
فَبَعَثْنَ وَجداً للخَلِيّ، وَزِدْنَ في بُرَحَاءِ وَجْدِ العاشِقِ المُستَهْتَرِ

[1]- صالح حسن اليظي ص85، البحتري بين نقاد عصره ص 85 بتصرف
[2]- ايليا الحاوي فن الوصف وتطوره في الشعر العربي منشورات دارالشرق الجديد ط 1، ج2 1960 ص 42.
[3]- البحتري – الديوان- ص 40.

للحُبّ عَهدٌ في فُؤادي لَمْ يَحِنْ مِنْهُ السّلُوّ، وَذِمّةٌ لَمْ تُخْفَـــــرِ

أثار منظر الصبايا الآخاذ الشاعر وشوقه، فراح يرسم لهن أجمل الصور والتي حاكها من صورة الظبي، فجيدهن كجيده، و خصورهن كخصره، وأعينهن كعينيه، هي إذن صورة المحبوبة التي استأثرت بقلب الشاعر، فهي حوراء العين، طويلة العنق، ضامرة البطن، لطيفة الخصر، وصورتها هذه قد أيقظت حبا غائرا في أعماق القلب كما ذهب الشاعر ابعد من ذلك حينما ينقل الأثر الذي تتركه نظرات المحبوبة في قلبه، لما في عينيها من سحر وجمال، لأنها و بكل بساطة قد استعارت من الغزلان رنوها و لين أعطافها ورقة نظراتها .

إذ يقول أيضا[1]:

رُنُوٌّ ذاكَ الغَزَالِ، أوْ غَيَدُهْ مُولِعُ ذي الوَجْدِ بالذي يجدُه

عندَكَ عَقلُ المُحبّ،إنْ فتكَتْ بهِ عُيُونُ الظّبَاءِ، أوْ قوَدُهْ

دَمْعٌ، إذا قُلتُ كَفَّ هَاملُهُ أجرَاهُ هَجْرُ الحَبيبِ، أو بَعَدُهْ

وَلاَيُؤدّي إلى الحسان هَوًى، مَنْ لا تَرَى أنَّ غَيّهُ رَشَدُهْ

لا يتوقف البحتري عن نسخ المعاني الرقيقة من رشاقة ورفق، فهو نسخ خبير من الرقيق الشعر وبديعه، فهو يتغزل مرة أخرى، مفصحا عن ولهه وهيامه بهذا الغزال الذي ملك قلبه وملكه معه .

فيقول[2] :

[1]– المصدر نفسه ج2 ص 735.

[2]– البحتري – الديوان– ج 1 ص 752

لا يَرِمْ رَبْعَكَ السّحابُ يَجُودُهْ تَبتَدي سَوْقَهُ الصَّبَا وْ تَقُودُهْ
غدقاً يستجد صنعة روض صنعة البرد عامل يستجيده
كُلّمَا بَكَّرَتْ عَلَيْهِ سَمَاءٌ حِيكَ إِفْرِنْدُهُ، وصيغ فَرِيدُهْ
قَدْ أَرَاهُ مَغْنًى لأَرْآمِ سِرْبٍ مَائلاتٍ إلى التّصَابي خُدُودُهُ
منْ غَزَالٍ يَصِيدُني، أو غَزَالٍ يَتَأَبّى مُمَانعاً لا أَصِيـــــــدُهْ
يَسّرَتْني لَهُ الصّبَابَةُ حتّى اسْــ ــتَأسرتْ مُقْلتَاهُ لُبّي، وَجِيدُهْ

يدعو الشاعر لديار المحبوب بالسقيا، تجود به تلك السحب التي تسوقها الرياح من جهة مشرق الشمس، وهي ديار كلما جاءت السماء عليها بفضلها ابتسم ثغرها بألوان

و أشكال من الأزهار الجميلة فتنسج أجمل الترابط والانسجام مع صورة الصبايا الجميلات اللواتي زادهن نقاء وبياض وجودهن، نور خدودهن فتوة إلى فتوتهن ونضارة إلى نضارتهن، لتكون الفتنة مضاعفة و يكون عمق الجرح في قلب الشاعر أبعد غورا كما يسترجع الشاعر تلك الذكريات التي في أعماقه واختبأت بني جوانحه ليعزف على وتر الألم والأحزان كما يداعب خياله طيف الحبيب فتفيض المعاني على لسانه لوحات فنية بديعة تجسده قوة الجمال وسحر الدلال .

لا يتردد الشاعر في الاستعانة بكل ما في الغزال من جمال ليعطيه لمحبوبته، فإذا هي بيضاء صافية الأديم ، قوامها خيزراني، حوراء العين إذا مشت فاض الدلال على قدها الممشوق، كما ساق البحتري أبيات جميلة في نفس المجال إذ يقول [1]:

[1]– المصدر نفسه ج2 ص1070.

أَخْفي هَوًى لكِ في الضّلوعِ، وأظهِرُ وألامُ في كَمَدٍ عَلَيْكِ، وأعْـــذَرُ
وَأَرَاكِ خُنتِ على النّوى مَنْ لَم يخُنْ عَهدَ الهَوَى، وَهجَرْتِ مَن لا يَهجُر
وَطَلَبْتُ مِنْكِ مَوَدّةً لَمْ أعْطَهَا إنّ المُعَنّى طالِبٌ لا يَظْفـــرُ
هَلْ دَينُ عَلْوَةَ يُستَطاعُ، فيُقتَضَى أوْ ظُلْمُ عَلْوَةَ يَستَفيقُ فيُقْصَرُ
بَيْضَاءُ، يُعطيكَ القَضِيبَ قوَامُهَا وَيُرِيكَ عَينَيها الغَزَالُ الأحْوَرُ
تَمشِي فتَحكُمُ في القُلُوبِ بِدَلّها وَتَمِيسُ في ظِلّ الشّبَابِ وفتَخطُرُ
وَتَميلُ مِنْ لِينِ الصّبا، فيُقيمُها قدّ يُؤَنّثُ تَارَةً، ويُذَكّـــرُ

يتغلب الولع والشوق بالشاعر، وتتدفق في قلبه مشاعر الهيام واللوعة إلى تلك الظبية التي كانت في قربها ووصالها نورا يضيء قلبه، فأصبحت في بعدها نارا تلدغ فؤاده، وهو يستنطق في حسرة و أسى تلك الديار التي ارتبطت بذكريات الحبيب أيما ارتباط،و يستوقفه منظر "علوه" ، دون الإفصاح عن اسمها في جمالها الأخاذ و سحرها الباهر ، ماجعله يجعل منها أفضل مخلوق مشا على قدمين ، فهي تحاكي الظباء في جيدها الناصع و حور عينيها ، إنها صورة جميلة كلما عانقت مخيلة شاعرنا خلفت في نفسه حسرة ، وفي قلبه لوعة وفي عينه دمعة .

إذ يكشف عن ذلك في هذه الأبيات[1]:

أأنْتِ دِيَارُ الحَيّ أيّتُهَا الرُّبَى الـــ ـــأنيقَةُ، أمْ دارُ المَهَا وَالنّعَائِمِ
وَسِرْبُ ظِبَاءِ الوَحشِ هذا الذي أرَى أمامكِ، أمْ سِرْبُ الظّبَاءِ النّوَاعِمِ
وَأدْمُعُنَا اللاّتي عَفَاكِ انْسِجامُها وَأبْلاكِ، أمْ صَوْبُ الغُيوثِ السّوَاجِمِ
وَأيّامُنَا فيكِ اللّوَاتي تَصَرّمَتْ مَعَ الوَصْلِ، أمْ أضْغَاثُ أحلامِ نائمِ
لَقَدْ حكَمَ البَينُ المُشَتّتُ بالبِلَى عليكِ، وَصرْفُ البَيْنِ أجورُ حاكمِ

[1]–البحتري ،الديوان، ج3 ص 1969–1970.

يهتز الشاعر لمشهد الفتيات، ويفتن في وصف حسنهن، و إبراز أنوثتهن، فهن يتمايلن في مشتيهن تمايلا يعبر عن الدلال والتيه، فيشبههن تارة بسرب الظباء و أخرى بالشمس تعبيرا عن جمالهن وصفاء أديمهن ثم ينقل مشهدهن يتدافعن فيظهر جانب من أعناقهن

وأخر من خدودهن، يوزعن ابتسامتهن، فتراها أقحوانا في أحسن و أبهى منظر.

نجد البحتري يتغزل مرة أخرى إذ يقول [1]:

إنَّ في السِربِ لَو يُساعِفُنا السِر ... بُ شُموسًا يَمشينَ مَشيًا وَئيدا

يَتَدافَعنَ بِالأَكُفِّ وَيَعرِضـ ... ـنَ عَنَليا عَوارِضًا وَخُدودا

يَتَبَسَّمنَ عَن شَتيتٍ أَراهُ ... أُقحُوانًا مُفَصَّلًا أَو فَريدا

رُحنَ وَاللَيلُ قَد أَقامَ رُواقًا ... فَأَقَمنَ الصَباحَ فيهِ عَمودا

بِمَهاةٍ مِثلَ المَهاةِ أَبَت أَن ... تَصِلَ الوَصلَ أَو تَصُدَّ الصُدودا

ذاتِ حُسنٍ لَو استَزادَت مِنَ الحُسـ ... ـنِ إِلَيهِ لَما أَصابَت مَزيدا

فَهِيَ الشَمسُ بَهجَةً وَالقَضيبُ الـ ... ـغُضُّ لينًا وَالرئمُ طَرفًا وَجيدا

شدت هذه، المعاني الآمدي، و لاقت إعجاب لديه، و راح يبرز رقة، وعذوبة معانيها، و طرفة تشبيهاتها وسحر ألفاظها فقال " فحسبك بهذا حسنا، صحة وجودة، خاصة هذا البيت الأخير، وما جمع من التشبيه أبرع لفظ، و أحلى سبك [2]" .

د- الذئب :

حظي الذئب ووصفه في شعر العربي اهتماما كبيرا ، و الذين رسموا له لوحات فنية كثيرة، غنية بالألوان، حفلة مشهد، كثيرة الرمز حاضرة الدلالة،

1 البحتري الديوان ، ج1 ص 590-591

2- الآمدي ،الموزانة بين شعر أبي تمام و البحتري، تحقيق أحمد صقر دار المعارف مصر ط 4 ج2 ص 89.

الذئب له حكايات كثيرة مع الإنسان، كما أطلقوا عليه تسميات عديدة منها الأمرط، الأمعط، الخاطف، السرحان، العلوش[1]

حضر الذئب في حياة الإنسان منذ أقدم العصور، فقد ورد ذكره في القرآن الكريم أثناء عرض قصة سيدنا يوسف عليه السلام، فيقول الله تعالى " قال إني ليحزني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذيب وأنتم عنه غافلين "[2]

و قوله عز و جل :" قالوا يا ابنا ذهبنا نستبق و تركنا يوسف عيد متاعن فأكله الذيب" [3]

مما يدخل في موضوع وصف الذئب لدى البحتري، وصفه لذئب ضاري رآه في طريقه وهو يقطع الصحراء ليلا، إذ دارت بينهما معركة حامية انتهت بمصرع الذئب إذ يقول فيها [4]:

أما لَكُمُ من هَجرِ أحبابكُمْ بُدُّ سَلامٌ عَلَيْكُمْ، لا وَفَاءٌ وَلاَ عَهْدُ،
وَشيكاً، ولَمْ يُنْجزْ لنَا منكُمُ وَعْدُ أأحبَابَنا قدْ أنجزَ البَينُ وَعْدَهُ
سَقَتْ رَبعَكِ الأنوَاءُ، ما فعلَتْ هندُ؟ أأطلالَ دارِ العَامريّةِ باللّوَى،
أمَا للهوَى، إلاّ رَسيسُ الجَوَى قصْدُ أدَارَ اللّوَى بَينَ الصريمَةِ والحمَى،
وإنْ لمْ يكُنْ منهُ وِصَالٌ، وَلاَ ودّ بنَفْسِيَ مَنْ عَذّبْتُ نَفسِي بحُبّهِ،
وأيُّ حَبيبٍ ما أتَى دونَهُ البُعْدُ حَبيبٌ مَنِ الأحبابِ شطّتْ بهِ النّوَى،

يتحدث ها هنا عن الهجر والبين والقطيعة من حبيب قاس لا يبادله الود والوصال تمهد لموقف القطيعة بين البحتري وبني الضحاك أو بني واصل خؤولته ويبدو أنهم أغضبوه و أهاجوا مشاعره، فتوعدهم وافتخر بشجاعته

[1]– شاكر هادي شكر الحيوان في الأدب العربي ج 2 ص123.
[2] القرآن الكريم الآية 13 ، سورة يوسف
[3] مصدر نفسه الآية 17 من سورة يوسف
[4]– البحتري الديوان ، ج2 ص 740–741

وقوته وشبه نفسه بالدواهي من الحيات وبالأسد الجريء، وأنه كحد السيف مضاء [1]

و لقد نجده يقول أيضا [2]:

إذا جُزْتَ صَحْرَاءَ الغُوَيْرِ مُغَرِّباً، وَجَازَتْكَ بَطْحَاءُ السّوَاجِيرِ يا سَعْدُ

فقُلْ لبَنِي الضّحّاكِ: مَهْلاً، فإنّني أنا الأَقْعُوَانُ الصِّلّ والضّيغمُ الوَرْدُ

بَنِي واصلٍ مَهْلاً، فإنّ ابنَ أختكم لَهُ عَزَماتٌ هَزْلُ آرَائِهَا جِدّ

متى هِجْتُمُوهُ لا تَهيجوا سوَى الرّدى، وإنْ كانَ خِرْقاً ما يُحَلّ لَهُ عَقْدُ

مَهيباً كَنَصْلِ السّيفِ لوْ قذفت بهِ ذُرَى أجإٍ ظَلّتْ وأعلامُه وَهْدُ

يحاول البحتري هنا الإثبات لمن استهانوا به و بقوته، إذ قدم درسا على صدق ما قال ، و هو يبرهن على أنه الأقحوان الصل و الأسد الورد ، و ذلك من خلال وصف معركته مع الذئب و انتصاره عليه إذ يقول [3]:

وَلَيْلٍ، كأنّ الصّبحَ في أُخرَيَاتِهِ، حُشَاشَةُ نَصْلٍ، ضَمّ إفرِندَهُ غِمدُ

تَسَرْبَلْتُهُ والذّئْبُ وَسْنَانُ هاجِعٌ، بعَينِ ابنِ لَيلٍ، ما لهُ بالكَرَى عهدُ

أُثيرُ القَطا الكُدْرِيَّ عَنْ جَثَماتِهِ، وَتَألَفُني فيهِ الثّعَالبُ، والرِّبْدُ

يحدد البحتري زمن المعركة وهو آخر الليل، وغبش الفجر الذي يبدو مثل بقية سيف أبيض وضع في غمده، وقد سار البحتري في هذا الوقت وحده متسربلا برداء الظلام وإذا به يرى ذئبا قد غفا قليلا بعيون مفتوحة كلص (ابن ليل) لا عهد له بالنوم و قد أثارت خطوات الشاعر القطا الكدرى "المائل إلى

[1]– د.فوزي عيسى ، في العصر العباسي ، جامعة الإسكندرية، دار المعارف الجامعية ، 2008 مصر ، ص205 – 206 بتصرف

[2]– الديوان البحتري ، ج 2 ، ص 742–743

[3]– البحتري – الديوان– ج2،ص744

السواد و الغبرة " فتفرغ بينما اعتاد البحتري السير في تلك الأجواء حتى لقد الفت منظرة الثعالب و الأسود و الحيات[1]

و يواصل البحتري في سرد الوقائع إذ يقول[2]:

وأطْلَسَ مِلْءِ العَينِ يَحملُ زَوْرَهُ، وأضْلاعُهُ منْ جَانبَيْهِ شَوَى نَهْدُ
لَهُ ذَنَبٌ مثْلُ الرِّشَاءِ يَجُرّهُ، وَمَتنٌ كَمَتنِ القَوْسِ أعوَجُ، مُنْأدّ
طَوَاهُ الطّوَى حَتّى استَمَرّ مَرِيرُهُ، فَما فيهِ إلاّ العَظْمُ والرّوحُ والجِلْدُ
يُقَضْقِضُ عُصْلاً، في أسرّتها الرّدى، كَقَضْقَضَةِ المَقْرُورِ، أرْعدَهُ البَرْدُ
سَمَا لي، وَبي منْ شدّةِ الجوع ما به ببَيداءَ لَمْ تحسسْ بها عَيشَةٌ رَغْدُ
كلانا بها ذِئْبٌ يُحَدّثُ نَفْسَهُ بصَاحبهِ، والجَدَّ يُتْعِسُهُ الجَدّ
عوَى ثمّ أقْعَى، وارتَجَزْتُ، فهِجْتُه، فأقبَلَ مثْلَ البَرْقِ يَتْبَعُهُ الرّعْدُ
فأوْجَرْتُهُ خَرْقَاءَ، تَحسبُ ريشَها على كوْكبٍ يَنقَضّ واللّيلُ مُسوَدّ
فما ازْدادَ إلاّ جُرْأةً وَصَرَامَةً، وأيْقَنْتُ أنّ الأمْرَ منْهُ هوَ الجِدّ
فأتْبَعْتُهَا أخرَى، فأضْلَلْتُ نَصْلَها بحَيثُ يكونُ اللُّبُّ والرُّعبُ والحِقْدُ
فَخَرّ وَقَدْ أوْرَدْتُهُ مَنهَلَ الرّدَى على ظَمَإٍ، لَوْ أنّهُ عَذْبَ الوِرْدُ
وَقُمْتُ فجَمّعتُ الحَصَى، فاشتَوَيتُه عَلَيْهِ، وللرّمضَاءِ من تحته وَقْدُ
وَنِلْتُ خَسيساً منهُ، ثمّ تَرَكْتُهُ وأقْلَعْتُ عَنهُ، وَهْوَ مُنْعَفِرٌ فَرْدُ

يصور البحتري هذا الذئب بلونه الأغبر المائل إلى سواد أطلس وهو الذئب ملء العين له ذنب كحبل الدلو، و ظهر معوج كالقوس و قد أرهقه الجوع، إذ لم يبق منه إلا العظم و الجلد[3]

كما أنه كان يعوي وصوته كصوت مقرور أصابه البرد القارس ن و قد أقبل لملاقاة البحتري متأهبا للانقضاض عليه بدافع غزيرة الجوع التي يعاني

[1]– فوزي عيسى : في الشعر العباسي ، دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية – مصر ،ط 1 2008 ص 206
[2] البحتري – الديوان ،ج2نص744
[3] فوزي عيسى في الشعر العباسي ن ص 207

منها البحتري هو الآخر في تلك الصحراء، فأصبح الغريمان وجها لوجه، إذ استحال كلاهما إلى ذئب شرس يسعى لافتراس صاحبه .

يبدأ مشهد اللقاء الدامي حيث يعوي الذئب مرتكزا على مؤخرته ويواجهه البحتري بالصراخ " الارتجاز" فيقبل الذئب مسرعا، لكن حب البقاء تمنح البحتري قوة خارقة، فيعاجل فيقبل بطعنة من سهامه الخرقاء، فيهوي السهم كالشهاب المنقض المضيء صوب الذئب في الظلام الحالك، و يزداد الذئب جرأة و صرامة وتشبثا بالحياة، ويحس البحتري بخطر الموت فيتبع الطعنة بأخرى نافذة ليدخل النصل في القلب تجتمع فيه الأحقاد و الخوف و الشعور .

تنتهي هذه المعركة بمصرع الذئب [1] هذه القصيدة فيها تطابق بين الأحاسيس الظاهرة و الباطنة للشاعر ، فكلاهما في الصحراء، و كلاهما جائع، و حتى عوامل الخوف تنتاب كلا منهما، وغزيرة حب البقاء تستولي على كل منهما بالصورة التي تتفق مع لون دفاعه، إنها صورة رائعة من صور الصراع النفسي من أجل الحياة استطاع البحتري و رغم حداثة سنه آنذاك أن يوفق في تنسيق أجزائها كما تمكن من التعبير عن أحساسيه الباطنية بما يكشف عن نزعته الفنية التي أخذت في النمو بعد ذلك [2].

[1] فوزي عيسى ن في الشعر العباسي ،ص 207-208 بتصرف
[2] المرجع نفسه ص 208-209

الفصل الثاني

مقاربة أسلوبية لسينية البحتري

- المبحث الأول: المستوى الصوتي
- المبحث الثاني: المستوى التركيبي
- المبحث الثالث: المستوى الدلالي

قصيدة وصف إيوان كسرى:

صُنْتُ نَفْسِي عَمّا يُدَنّس نفسي، وَتَرَفّعتُ عن جَدا كلّ جِبْسِ
وَتَماسَكْتُ حِينُ زَعزَعني الدّهْـ ـرُ التماساً منهُ لتَعسِي، وَنُكسي
بُلَغٌ منْ صُبابَةِ العَيشِ عندِي، طَفّفَتْها الأيّامُ تَطفيفَ بَخْسِ
وإذا ما جُفيتُ كنتُ جديرّاً أنْ أُرَى غيرَ مُصْبحٍ حَيثُ أُمسِي
أتَسَلّى عَنِ الحُظُوظِ، وَآسَى لَمَحَلٍّ من آلِ ساسانَ، دَرْسِ
أذَكّرْتَنيهمُ الخُطُوبُ التّوَالي، ولَقَدْ تُذكِرُ الخُطوبُ وَتُنسِي
حِلَلٌ لم تكُنْ كأطْلالِ سُعدَى في قِفَارٍ منَ البَسابسِ، مُلْسِ
لَوْ تَرَاهُ عَلمْتَ أن اللّيَالي جَعَلَتْ فيهِ مأتَماً، بعد عُرْسِ
وَهْوَ يُنْبيكَ عَنْ عَجائبِ قَوْمٍ، لا يُشَابُ البَيانُ فيهم بلَبْسِ
وإذا ما رَأيْتَ صُورَةَ أنْطَا كيَةَ ارْتَعْتَ بَينَ رُومٍ وَفُرْسِ
والمَنَايَا مَوَاثِلٌ، وأنُوشَرْ وانَ يُزْجي الصّفوفَ تحتَ الدِّرَفْسِ
في اخضِرَارٍ منَ اللّباسِ على أصْـ ـفَرَ يَختالُ في صَبيغَةِ وَرْسِ
وَعِرَاكُ الرّجَالِ بَينَ يَدَيْهِ، في خُفوتٍ منهمْ وإغماضِ جَرْسِ
منْ مُشيحٍ يُهوي بعاملِ رُمْحٍ، وَمُليحٍ، من السّنانِ، بتُرْسِ
تَصِفُ العَينُ أنّهُمْ جِدُّ أحيَا ءَ لَهُمْ بَينَهُمْ إشارَةُ خُرْسِ
يَغتَلي فيهمُ ارْتِيابيَ، حَتّى تَتَقَرّاهُمُ يَدايَ بلَمْسِ
قَد سَقَاني، ولَمْ يُصَرِّدْ أبو الغَوْ ثِ على العَسكَرَينِ شُرْبَةَ خَلسِ
منْ مُدَامٍ تظنّهَا هيَ نَجْمٌ أضوَأَ اللّيْلَ، أوْ مُجَاجةُ شَمسِ
وَتَرَاها، إذا أجَدّتْ سُرُوراً، وَارْتياحاً للشّارِبِ المُتَحَسّي
أُفْرِغَتْ في الزّجاجِ من كلّ قلبٍ، فَهْيَ مَحبُوبَةٌ إلى كلّ نَفْسِ
وَتَوَهّمْتَ أنْ كسرَى أبَرْوِيـ ـزَ مُعَاطيَّ، والبَلَهْبَذُ أُنْسِي

حُلُمٌ مُطبِقٌ على الشّكّ عَيني، أمْ أمَانٍ غَيّرْنَ ظَنّي وَحَدْسي؟
وكَأنّ الإيوَانَ منْ عَجَبِ الصّنْـ ـعَةِ جَوْبٌ في جنبِ أرْعَنَ جِلسِ
عكَسَتْ حَظَّهُ اللّيالي وَباتَ الـ ـمُشتَرِي فيهِ، وَهو كوْكبُ نَحسِ
فَهْوَ يُبْدي تَجَلّداً، وَعَلَيْهِ كَلكلٌ من كَلاكلِ الدّهرِ مُرْسِي
لَيسَ يُدرَى: أصُنْعُ إنْسٍ لجنٍّ سَكَنوهُ أمْ صُنعُ جنٍّ لإنْسِ
غَيرَ أنّي أرَاهُ يَشْهَدُ أنْ لَمْ يَكُ بَانيهِ في المُلُوكِ بنِكْسِ
فَكَأنّي أرَى المَرَاتبَ والقَوْ مَ، إذا ما بَلَغتُ آخرَ حسّي
وكَأنّ الوُفُودَ ضاحينَ حَسرَى، من وقُوفٍ خَلفَ الزّحامِ وَخُنْسِ
وكَأنّ القِيَانَ، وَسْطَ المَقَا صِيرِ، يُرَجّعنَ بينَ حُوٍّ ولُعسِ
وكَأنّ اللّقَاءَ أوّلُ مِنْ أمْـ ـسِ، وَوَشْكَ الفرَاقِ أوّلُ أمْسِ
فَلَهَا أنْ أُعِينَهَا بدُمُوعٍ، مُوقَفَاتٍ عَلَى الصَّبَابَةِ، حُبْسِ
ذاكَ عندي وَلَيستِ الدّارُ دارِي، باقترَابٍ منها، ولا الجنسُ جنسِي
غَيرَ نُعْمَى لأهْلِهَا عنْدَ أهْلِي، غَرَسُوا منْ زَكَائِها خيرَ غَرْسِ

المبحث الأول: المستوى الصوتي

أ –الوزن:

نهج البحتري نهجا يجعل من الوزن في خدمة المعنى ،و قصيدته في وصف إيوان كسرى هي من بحر الخفيف

فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

ناسب الوزن فحوى القصيدة و كل ما يتعلق بها من حزن و كآبة و الشاعر جعل من مناسبة هذا البحر لقصيدته يعبر عن همومه، و كل ما يختلجه.

تمكن أيضا من ان يصف الإيوان وصفا مطولا كما يجب ، ولكن هذا لا يعني ان كل بحر يختص بغرض معين :

"لأننا نجد بحورا متعددة قيلت فيها موضوعات متنوعة، فقد قيل في الهجاء و الغزل والمدح ...، و هذا ما يدل على عدم اختصاص بحر بعينه في موضوع من موضوعات الشعر دون سواها، فطبيعة النص و تشكيله الأسلوبي هو الذي يستدعي البحر الذي يناسبه[1]

هذا الدليل على إن الشاعر أصاب ووفق في اختيار الوزن مع البحر المناسب لقصيدته، كانت ملائمة لوصفه للإيوان بكل اقتدار كما أتاح له المحافظة على تناسق أجزاء القصيدة، مع جماليتها بطولها .

1 نور الدين السد تحليل الخطاب الشعري ، رثاء صخر نموذجا مجلة اللغة و الأدب ، العدد 8 ،1996م الجزائر ص 90.

ب القافية :

اختلف النقاد قديما في تحديد القافية و مفهومها، فهناك من جعلها آخر كلمة ترد في البيت الشعري، و البعض الآخر رأى بأنها آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه مع حركة ما قبله، إلا أن أغلبهم اعتبر أن القافية تعادل حرف الروي، لان الشاعر يتبعه في الغالب و يحافظ عليه ليزيد من جماليات قصيدته، كما أن البحث في مختلف جوانب القافية قد يتطلب بحوثا موسعة إذ يقول الخليل "القافية من آخر حرف في البيت الأول إلى أول ساكن يليه من قبله مع حركة الحرف الذي قبل الساكن " وحرف الروي في هذه القصيدة هو حرف السين، والذي جعل من القصيدة مهموسة هادئة، لأن الشاعر يظهر مهموما من خلالها و أكثر من هذا جاء السين مكسورا معبرا، و هو تعبير عن انكسار نفسية الشاعر و ما يختلجها من هموم وضعف .

جاء الصوت موحيا بالمعنى خادما له، إضافة إلى أن السين أضفى على القصيدة رونقا جميلا كما أنه تكرر باعتباره مفتاحا صوتيا للقصيدة بأكملها، ففي مطلع القصيدة يتكرر خمس مرات فهو مكون الإيقاع الأول، و الصوت المنتظم لصيرورة المعنى [1]

يقول البحتري: [2]

صُنْتُ نَفْسِي عَمّا يُدَنّس نفسي	وَتَرَفّعتُ عن جَدا كلّ جِبْس
صنت نفسي عمما يدننس نفسي	و ترففعت عن جدا كلل جبسي
0/0///0// 0/0/0/0//0/	0/0//0/0//0//0/0//
فاعلاتن مستفعلن فعلاتن	فعلاتن مستفعلن فاعلاتن

القافية : هي جبسي /0/0

1 أحمد حيزم، فن الشعر ورهان اللغة، بحث في آليات الخطاب الشعري عند البحتري دار محمد علي 2005، تونس ص 41 بتصرف.

2 البحتري – الديوان– ، وزارة الثقافة ، الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007، ص 190

و قوله أيضا : [1]

وَتَماسَكْتُ حَينُ زَعزَعني الدّهْـ	ـرُ التماساً منهُ لتَعسِي، وَنُكسي
وتماسكت حيث زعزعني ددهـ	ر لتماسن منهو لتعسي و نكسي
0/0///0//0//0/0///	0/0//0/0/0/0//0/ 0/0//0/
فعلاتن متفعلن فعلاتن	فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

و يقول في بيت آخر: [2]

وَبَعيدٌ مَا بَينَ وَارِدِ رِقّهِ،	عَلَلٍ شُرْبُهُ، وَوَارِدِ خِمْس
وبعيدن ما بين وارد رفهن	عللن شربهو ووارد خمسي
0/0///0//0/0/0///	0/0///0//0//0/0//
فعلاتن مستفعلن فعلاتن	فعلاتن متفعلن فعلاتن

القافية خمسي /0/0

يلاحظ من خلال التقطيع العروضي لبعض من أبيات قصيدة البحتري، أن هذه القافية زادت عذوبة في السمع، و أثرها الجمالي وساهمت في ضبط نهايات الأبيات، فأضافت تقنياته الشعرية فالشاعر اعتمد على القوافي المكسورة الروي، والكسر يميل إلى الخفة، فجاء للتعبير عن الحزن والأسى، وبالتالي، فالقافية هنا قافية مطلقة لان رويها متحرك أي أطلق الصوت به أي أن الروي تلازمه الضمة أو الفتحة أو الكسرة .

و فيما يلي جدول يبين أنواع بعض القوافي

[1] البحتري : الديوان، ص 190
[2] المصدر نفسه ص 190

رقم البيت	القافية فيه	في تماسك النص	ملاحظة
1	جبس	هذه الكلمات القوافي متجانسة صوتيا حتى و إن اختلفت دلاليا وهي متقاربة غير متنافرة .	هذا التوافق يظهر بين الإيجاب والسلب من السلب نجد نكسي+ درس+ تنسي+ رمسي+ خرس+ لمس ومن الإيجاب نجد عرس+ فرس+ ورس+ جرس
2	نكسي		
3	عنسي		
4	درسي		
5	تنسي		
6	لمس		
7	عرس		
8	فرس		
9	درفس		
10	ورس		
11	جرس		
12	خرس		
13	لمس		

توزعت العلاقة بين هذه الكلمات بين الوصف الجميل لإيوان كسرى و الحسرة التي تعتري البحتري لما فعله الدهر به، والويلات التي عانها ما يمكن ملاحظته، و بشكل جلي اعتماد الشاعر على التجانس الصوتي خاصة في أول الأبيات.

كقول الشاعر : [1]

[1] البحتري : الديوان ص 190

صُنْتُ نَفْسِي عَمّا يُدَنّس نفسي وَتَرَفّعـــــتُ عن جَدا كلّ جِبْسِ
وَتَماسَكْتُ حَينُ زَعزَعني الدّهْـــ ـــرُ التماساً منهُ لتَعسِي، ونُكسي
بُلَغٌ منْ صُبابَةِ العَيش عندِي، طَفّفَتْها الأيـــّامُ تَطفيفَ بَخْسِ

ج -التكرار:

هو الإطناب بالتكرار، وهو إعادة الشيء مرة بعد أخرى، و كررت عليه الحديث إذا رددته عليه، قال ابن الأثير عن الإطناب: "والذي يجده أن يقال: هو زيادة اللفظ عن المعنى لفائدة، فهذا حده الذي يميزه عن التطويل، إذ التطويل هو زيادة اللفظ عن المعنى لغير الفائدة، أما التكرير فإنه دلالة اللفظ عن المعنى"و إذا كان التكرر هو إيراد المعنى مرددا فمنه ما يأتي لفائدة و منه دون فائدة [1]

يأتي التكرار للتوكيد أو زيادة التنبيه أو التهويل أو التعظيم وهذا ما زاد القصيدة نغمة رتيبة هادئة كقول البحتري [2]:

بُلَغٌ منْ صُبابَةِ العَيش عندِي، طَفّفَتْها الأيـــّامُ تَطفيفَ بَخْسِ

و نجد المجانسة بين مفردتي التكرار "طففتها ، تطفيف"

و في قوله أيضا[3]:

منْ مُشيحٍ يُهوي بعامل رُمْح، وَمُليحٍ، من السّنان، بتُرْس

وفي بيت آخر يقول[4]:

فَهْوَ يُبْدي تَجَلّداً، وَعَلَيْهِ كَلكلٌ من كَلاكِلِ الدّهرِ مُرْسِي

[1] أحمد مطلوب معجم المصطلحات البلاغية و تطورها ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، رقم الايداع 586 ، 1986،ص 410
[2] البحتري : الديوان ص 190
[3] المصدر نفسه ص 192
[4] المصدر نفسه ص 193

و يوجد تكرار اللفظة نفسها

في قوله : [1]

صُنْتُ نَفْسِي عَمّا يُدَنّس نفسي وتَرَفّعـــــتُ عن جَدا كلّ جِبْسِ

وهذا التكرار بين لفظتي نفسي، نفسي و هنا يعمد الشعر إلى التكرار في الشطر ذاته من البيت الأول "الصدر"

و يقول في بيت آخر[2]:

وكَأنّ الزّمَانَ أصْبَحَ مَحْمُو لاً هَوَاهُ معَ الأخَسّ الأخَسّ

هنا التكرار بين لفظتي الأخس، الأخس

و يقول أيضا[3]:

أذكّرْتَنيهِمُ الخُطُوبُ التّوَالي، ولَقَدْ تُذكِرُ الخُطوبُ وتُنسِي

و هنا التكرار على مستوى الجملة :

يتضح أن الشاعر لم يكتف بالموسيقى المنبعثة من تكرار اللفظة الواحدة بل تعداها حتى تكرار العبارة أو الجملة، والذي أسهم إيقاعا في تشكيلا خاصا.

نلمس لدى البحتري جملة من القيم التكرارية المتوزعة في ثنايا قصائده، وهي تجسد حتما انعكاسا واضحا لموقف و إرادة الشاعر.

و مما يقول البحتري أيضا : [4]

وكَأنّ اللّقاءَ أوّلُ مِنْ أمْـ ـس، ووَشْكَ الفرَاق أوّلُ أمْس

[1] المصدر نفسه ص 190
[2] البحتري الديوان ص 190
[3] المصدر نفسه ص 191
[4] المصدر نفسه ص 194

و يقول أيضا : [1]

ذاكَ عندي ولَيستِ الدّارُ داري، باقترَابٍ منها، ولا الجنسُ جنسي

هنا التكرار مزدوج في بيت واحد بين كل لفظتين، الدار داري، الجنس جنسي و هنا فالتكرار عنه البحتري لم يكن عشوائيا، بل لغرض و فائدة المعنى العام و متناغما مع دلالة النص، فهو يعتمد على التكرار مستوفيا بذلك وظيفته الفنية و الدلالية، من الناحية الموسيقية فقد أحدث التكرار جرسا خاصا.

د –التصريع:

التصريع في الشعر هو السجع من النثر، و غايته انه قبل تمام البيت الأول من القصيدة تعلم قافيتها، و يقول ابن الرشيق: " فإما التصريع هو ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه، تنقص بنقصه و تزيد بزيادته"

و التصريع يجري مجرى القافية، إلا انه في آخر النصف الأول من البيت و القافية في آخر النصف الثاني منه[2]:

نجد التصريع في قول البحتري [3]:

صُنْتُ نَفْسِي عَمّا يُدَنّس نفسي وَتَرَفّعـــــتُ عن جَدا كلّ جِبْس

و هنا التصريع بين مفردتي " نفسي ، جبس " أعطى إيقاعا متوازنا جميلا، و كانت واجهة على الأسى و الصراع لأنها أتت في مطلع القصيدة

و يقول أيضا[4]:

أتَسَلّى عَنِ الحُظُوظِ، وَآسَى لِمَحَلٍّ من آلِ ساسانَ، دَرْس

و هنا التصريع بين لفظتي آسي و درس

[1] المصدر نفسه ص194

[2] أحمد مطلوب معجم المصطلحات البلاغية و تطورها ، مكتبة لبنان ،ناشرون ط 200 ج 2 ، ص 364

[3] البحتري – الديوان ص 190

[4] المصدر نفسه ص 191

و نجده يقول في بيت آخر[1]:

فكَأنّ الجِرْمَازَ منْ عَدَمِ الأُنْـــ ـــسِ وإخْلالِهِ، بَنيّةُ رَمْسِ

التصريع هنا بين لفظتي الأن و رمس

و نجده يقول أيضا[2] :

وكَأنّ اللّقاءَ أوّلُ مِنْ أمْـــ ـــسِ، ووَشْكَ الفرَاق أوّلُ أمْسِ

و التصريع هنا بين أمس و أمس

برهن البحتري على قدرة فائقة في استخدام التصريع بقيمه الجمالية و أضفى موسيقى، لأن التصريع يجمع بين لفظتين متساويتين وزنا و إعرابا و تقفية

ه –الترديد :

هو قيام الشاعر بالإتيان بمفردة أو لفظة متعلقة بمعنى ثم يرددها بعينها متعلقة بمعنى آخر في نفس البيت، و يبقى الفارق الدلالي بين الاستعمالين إلى السياق والقرائن والاستخدام الشخصي[3]:

يقول البحتري[4]:

لَيسَ يُدرَى: أصُنْعُ إنْسٍ لجنٍّ سَكَنوهُ أمْ صُنعُ جنٍّ لإنْسِ

و هنا لفظة انس بجن و علق الجن بالإنس، فأفاد الترديد من معاني الحيرة و التعجب التي خرج إليها الاستفهام .

[1] المصدر نفسه ص 192.
[2] المصدر نفسه ص 194
[3] رابح بوحوش، اللسانيات، تطبيقها على الخطاب الشعري، دار العلوم للنشر و التوزيع ، الجزائر 2006 ص 96
[4] البحتري ، ديوان ص 194

و -التطريز :

يعتمد التطريز على الموازنات الصوتية، لأنه ضرب يقع على أبيات متوالية من القصيدة تكون كلماته متساوية في الوزن، فيكون كطراز الثوب، و هو نادر الورود في القصائد الشعرية [1]:

و من أمثلة ما أورد الشاعر قوله [2]:

لَيسَ يُدرَى: أصُنْعُ إنْسٍ لجنٍّ سَكَنوهُ أمْ صُنعُ جنٍّ لِإنْس
غَيرَ أنّي أرَاهُ يَشْهَدُ أنْ لَمْ يكُ بَانيهِ في المُلُوكِ بِنكْس
فكَأنّي أرَى المَرَاتبَ والقوْ مَ، إذا ما بَلَغتُ آخرَ حسّي

التطريز ظاهر في قوله " انس– نكس– حسي، و حرف الروي السين قد توالى، وحافظت على نفس الوزن ، هنا ظهرت خاصية التطريز كاشفة على حسن الصياغة الشعرية، و هو عامل يعزز الجانب الوجداني الذي منح للبنية التي تعزز شعرية الكلمات، و يعد بعدا و دافعا نفسيا للشاعر ذاته، و خدمة للسامع أيضا .

ز -الجناس :

يعد الجناس من أبواب البديع ضمن علم البيان، و للجناس دور بارز و مهم، فيي نفسية السامع، وكذا في النصوص الأدبية و بالخاصة للمقاطع الشعرية، فهو يحقق صلة متينة بين المرسل و المرسل إليه و الجناس هو مما كان لفظا واحدا ومعنى مختلف[3].

أورد البحتري في الجناس في سينيته قوله [4]:

صُنْتُ نَفْسِي عَمّا يُدَنّس نفسي وتَرَفّعـــــتُ عن جَدا كلّ جِبْس الجناس

بين لفظتين : نفسي ، نفسي ، جناس تام

[1] رابح بوحوش ، اللسانيات ، تطبيقها على الخطاب الشعري ص 100
[2] البحتري ، الديوان ص 194
[3] عبد السلام المسدي ، الأسلوب الأسلوبية ، الدار العربية للكتاب تونس ط 2 ص 159.
[4] البحتري الديوان ص 190

و قوله [1]:

وَبَعيدٌ مَا بَينَ وَارد رقّهِ، عَلَلٍ شُرْبُهُ، وَوَارد خِمْس

الجناس التام بين المفردتين : وارد ، وارد

و قول الشاعر [2] :

وَكَأنّ الزّمَانَ أصْبَحَ مَحْمُو لاً هَوَاهُ معَ الأخَسّ الأخَسّ

و الجناس التام نجده هنا بين : الأخس ، الأخس

و يجد الجناس التام في قول البحتري [3]:

أذكّرْتَنيهمُ الخُطُوبُ التّوَالي، وَلَقدْ تُذكِرُ الخُطوبُ وَتُنسِي

جناس تام بين الكلمتين: الخطوب ، الخطوب

توظيف البحتري للجناس السابق ليس صدفة أو من أجل زخارف الكلام أو التنميق، بل للإثارة و التشويق و الإيهام، فالجناس باعتباره كلمتين لهما نفس اللفظ، ولكن مع معنيين مختلفين، فهو يرسم و يعيد تنظيم الصورة على نحو منسجم، فيسكب البيت الشعري شعرية خاصة، إضافة إلى الإيقاع و الانسجام الصوتي

و نجد في الشق الثاني من الجناس الجناس الناقص، و هو الاختلاف في الهيئة دون الصورة أي اختلاف اللفظتين في واحد في الأمور المعروفة

و مما جاء قول البحتري[4]:

وَتَماسَكْتُ حَينُ زَعزَعني الدّهْـ ـرُ التماساً منهُ لتَعسِي، وَنُكسي

[1] المصدر نفسه ص 190
[2] المصدر نفسه ص 190
[3] البحتري : الديوان ص 191
[4] المصدر نفسه ص 190

و قوله أيضا[1]:

أتَسَلّى عَن الحُظُوظِ، وَآسَى لَمَحَلٍّ من آلِ ساسانَ، دَرْسِ

و يقول البحتري في باب الجناس الناقص [2]:

أذكّرْتَنيهمُ الخُطُوبُ التّوَالي، ولَقدْ تُذكِرُ الخُطوبُ وَتُنسِي

و قوله أيضا[3]:

وَمَسَاعٍ، لَوْلا المُحَابَاةُ منّي لم تُطقها مَسعاةُ عَنسٍ وَعبسِ

جناس ناقص بين الكلمتين عنس ، عبس

و يقول الشاعر أيضا[4]:

فكَأنّ الجِرْمَازَ منْ عَدَمِ الأُنْـ ـسِ وإخْلالِهِ، بَنيّةُ رَمْسِ

و يقول البحتري أيضا[5]:

منْ مُشيحٍ يُهوي بعامِلِ رُمْحٍ، وَمُليحٍ، من السّنانِ، بتُرْسِ

حافظ الجناس الوارد في الأبيات المختارة على مضمون الصورة و محتواها، بل زاد في مبناها و تركيبها، و تشكيلها، مما حقق جرسا موسيقيا للألفاظ، و ما يلفت الانتباه أيضا أن البحتري اعتمد بشكل واضح في أبيات قصيدته الأولى على الجناس، ليقلل منه عند وصف الإيوان، و لكن بقي دائما يحافظ على التجانس بين الكلمات لجعل المتلقي ينتبه لمعاني الألفاظ .

[1] المصدر نفسه ص 191
[2] البحتري الديوان ص 191
[3] المصدر نفسه ص 191
[4] المصدر نفسه 192
[5] المصدر نفسه 192

المبحث الثاني: المستوى التركيبي:

أ – المركب الفعلي:

ورد المركب الفعلي في هذه السينية 75 مرة، فورد الفعل الماضي في القصيدة 37 مرة ، و الفعل المضارع 38 مرة ونجد البحتري يتفتح القصيدة في بيتها الأول بثلاث جمل فعليته [1]

صُنْتُ نَفْسِي عَمّا يُدَنّس نفسي وَتَرَفّعـــــتُ عن جَدا كلّ جِبْسِ الجناس

وإذا حاولنا تحليل بنية الجملة الفعلية في هذا الافتتاح سنجد "أن صيانته لنفسه" تعد عمليته متجددة وفي البيت الثاني [2]:

وَتَماسَكْتُ حَينُ زَعزَعني الدّهْـ ـرُ التماساً منهُ لتَعسِي، وَنُكسي

وفي هذا البيت يعلن البحتري جلية التماسك المتجدد و المتواصل لكل ما كان يزعزع حياته، ونلاحظ في البيتين الأوليين ورود خمس جمل فعلية أربعة منها

أفعال ماضية وواحد فقط يدل على الزمن الحاضر.

فقد وظف البحتري في قصيدته الفعل أوفر من توظيف الاسم، فقد كانت الجمل الفعلية طاغية على سياق النص، والفعل هو الأقدر لاستعاب مظاهر الحركة و الحيوية و عدم الثبوت.

ولعل وقوفنا عند بعض الأبيات يكشف تلك الحقيقة ، ويبرز مدى اعتماد الشاعر على الأفعال في مواقف الحركة و التحول.

في قوله [1]:

[1]– البحتري الديوان ص190.
[2]– المرجع نفسه ص190.

لا تَرُزْنِي مُزَاولاً لاخْتِبَارِي بعد هذي البَلوَى، فتُنكرَ مَسّي
أذكّرْتَنيهمُ الخُطُوبُ التّوَالي ولَقَدْ تُذكِرُ الخُطوبُ وتُنسِي
وَهُمُ خافضُونَ في ظلّ عَالٍ مُشرفٍ يُحسرُ العُيونَ وَيُخسِي

يصور الشاعر في هذه الأبيات ما يدور حوله عن طريق تلاعبه بالأفعال وهذه سمة من سمات الفن عند البحتري، تقوم على إعطاء كل مشهد حقه، من الحيوية والحركية ووسيلته في ذلك الأفعال التي ارتبط بعضها ببعض، واحتاج كل واحد منها ليكون عقبا له بواسطة حروف العطف (الواو–الفاء) التي ساهمت في تسلسل الإحداث وتطورها.

لم يلعب المركب الفعلي في سينية البحتري الدور الصرفي والنحوي فقط، بل أضفر على القصيدة جوا متكاملا صوتيا .

ب – **المركب الاسمي:**

نجد المساحة قد اتسعت للجملة الاسمية على نحو لافت وإذا ما انتقلنا إلى موضع آخر من القصيدة، ونجد البحتري تألق وأبدع في المركب الاسمي يقول [2]:

والمَنَايَا مَـــــوَاثِلٌ، وأنُوشِـــــرْ وانَ يُزْجِي الصّفوفَ تحتَ الدِّرَفْسِ
في اخضِرَارٍ منَ اللّباسِ على أصْـ ـفَرَ يَختالُ في صَبِيـــــغَةِ وَرْسِ
وَعِرَاكُ الـــــرّجَالِ بَيـــــنَ يَدَيْه ِ في خُفوتٍ منهمْ وإغْـماضِ جَرْسِ
منْ مُشيحٍ يُهوي بـــعاملِ رُمْحٍ وَمُليحٍ، من السّـــــنانِ، بتـرْسِ

نشاهد الجمل الاسمية إذا ما نظرنا إلى هذا المقطع، التي ازداد عددها في بصورة واضحة ثم عن هدوء نفسية الشاعر وان ثورته قد خمدت، فهو يصف لنا الأشياء و الحوادث التي يمر بها بمنتهى الدقة.

[1]– المرجع نفسه ص 190.
[2]– البحتري الديوان ص190.

1-الصيغ الصرفية:

أ -صيغ الجموع:

في قوله [1]

بُلَغٌ منْ صُبابَةِ العَيش عندِي طَفّفَتْها الأيّامُ تَطفيفَ بَخْسِ

وَقديماً عَهدْتَني ذا ه ـــنَاتٍ آبياتٍ، على الدّنياتِ، شُمْسِ

حَضَرَتْ رَحليَ الهُمُومُ فوَجّهْـ ـــتُ إلى أبيَضِ المَدائنِ عُنْسِي

أذكّرْتَنيهمُ الخُطُوبُ التّوَالي وَلَقدْ تُذكِرُ الخُطوبُ وَتُنسِـي

أتَسَلّى عَنِ الحُظُوظِ، وَآسَى لمَحَلٍّ من آلِ ساسانَ، دَرْسِ

وَهُمُ خافضُونَ في ظلّ عَالٍ مُشرِفٍ يُحسرُ العُيونَ وَيُخسِي

اسم الفاعل: هو اسم الذي يصاغ للدلالة على الحدث، ومن قام به، يصاغ من الفعل المبني للمعلوم على وزن أشهرهما فاعل ونلمحه في القصيدة في قوله [2]:

وإذا ما جُفيتُ كنتُ جديرّاً أنْ أرَى غيرَ مُصْبحٍ حَيثُ أمسِي

صيغ من الفعل الثلاثي (المزيد) على وزن الفعل المضارع (يصبح) مع إبدال حرف المضارعة ميما مضمومة وكسر ما قبل آخره مصبح و قوله أيضا [3]

وهم **وَهُمُ خافضُونَ في ظلّ عَالٍ مُشرِفٍ يُحسرُ العُيونَ وَيُخسِي**

وقوله[4]:

وَكَأنّ الذي يُريدُ اتّبَاعاً طامعٌ في لُحوقهمْ صُبحَ خمسِ

الصيغ من الفعل الثلاثي "طمع" على وزن فاعل (طامع)

إن هذه الصيغة لها سمتها الموسيقية الواهمة: فهي تثري إيقاع النص من جهة، وتكتشف عن دلالات تصاحب الكلام من جهتا أخرى .

---

[1]- البحتري الديوان ص190.

[2]-المصدر نفسه ص190 .

[3]- المرجع نفسه ص190

[4]- المرجع نفسه ص 190.

ب – اسم المفعول:

اسم مشتق من الفعل المبني للمجهول للدلالة على وصف من يقع عليه الفعل ومثال ذلك القصيدة[1]

وكَأنّ الزّمَانَ أصْبَحَ مَحْمُو لاً هَوَاهُ معَ الأخَسّ الأخَسّ

صيغ اسم المفعول هنا من الفعل المبني للمجهول "حمل" على وزن مفعولا "محمولا"

و قوله أيضا[2]:

مُزْعَجاً بالفِراق عن أُنْسِ إلْفٍ عَزّ أوْ مُرْهَقاً بتَطليق عِرْسِ

صيغ الأول من الفعل المضارع "يزعج" وإبدال حرف المضارعة ميما مضمومة، وفتح ما قبل الأخير "مزعجا" إما الثاني من الفعل "يرهق" وإبدال حرف المضارعة ميما مضمومة، وفتح ما قبل الأخير "مرهقا".

ج– اسم التفضيل:

هو صفة تأخذ من الفعل لتدل على شيئين اشتركا في صفة وزاد أحدهما على الآخر، واسم التفضيل هو وزن واحد هو صيغة افعل "للمذكر" و"فعلى" مؤنث، ونرصد هذا في قوله[3]:

غَيرَ نُعْمَى لأهْلِهَا عنْدَ أهْلِي غَرَسُوا منْ زَكَائِها خيرَ غَرْسِ

إما الثاني صيغ اسم التفضيل مما لا يتوفى الشروط فأتى بمصدر منصوب "خير غرس"

إذن أن كل هذه البنى للصرفية لا تظل خالية من مدلولات نفسية و إيقاعية وإنما هي متصلة بنفس المبدع، ومحركة لنوازع السامع

[1] – المرجع نفسه ص 193
[2] – البحتري الديوان ص193
[3] – المرجع نفسه ص 190

2 التقديم و التأخير:

هو ظاهرة أسلوبية تعنى بتغيير ترتيب العناصر التي يتكون منها البيت بمعنى العدل في الأصل العام الذي نقوم عليه بناء الجملة العربية وتشويش ترتيبها و مثال ذلك في القصيدة قوله[1]:

بُلَغٌ منْ صُبابَةِ العَيشِ عندِي طقّقتْها الأيّامُ تَطفيفَ بَخْسِ

في هذا البيت تقدم المفعول به الذي هو الضمير المتصل (الهاء) على الفاعل الذي هو الأيام تقديم الواجب مكن الشاعر من الحفاظ على وزنه، وفي قوله أيضا [2]:

حَضَرَتْ رَحلِيَ الهُمُومُ فوَجّهْـ ـتُ إلى أبيَضِ المَدائنِ عُنْسِي

لجأ البحتري إلى تقديم المفعول به على الفاعل الشطر الأول في البيت وآخر المفعول به في الشطر الثاني لأنه أراد أن يخص كلمتي الهموم و أبيض المدائن بالاهتمام و العناية والتنبيه، فالهموم هي قادته إلى أبيض المدائن.

[1] – المرجع نفسه ص 193.
[2] – البحتري الديوان ص194.

المبحث الثالث:المستوى الدلالي:

أ -الطباق:

هو التضاد و التطبيق و التكافؤ والمطابقة والمقاسمة وقد تقدم في التضاد هو أيضا جمع بين شيء و ضده، و هو أن يأتي الشاعر بلفظة معينة ترمي إلى غرض ما ثم يأتي بكلمة أخرى تكون ضدها في المعنى، فيتصير الكلمتان متضادتين المعنى، وهو نوعان:

طباق إيجاب وطباق السلب، و نجد أن الطباق الإيجاب في هذه القصيدة شغل نسمة أسلوبية بارزة، و نلاحظ ذلك من خلال قوله[1]:

صُنْتُ نَفْسِي عَمّا يُدَنّس نفسي وتَرَفّعتُ عن جَدا كلّ جِبْسِ

طباق الإيجاب .

وتَماسَكْتُ حَينُ زَعزَعني الدّهْـ ـرُ التماساً منهُ لتَعسِي، ونُكسي

طباق الإيجاب

وَاشترَائي العرَاقَ خِطّةَ غَبْنٍ، بَعدَ بَيعي الشّآمَ بَيعةَ وَكْسِ

طباق الإيجاب[2]

وإذا ما جُفيتُ كنتُ جديرّاً أنْ أرَى غيرَ مُصْبحٍ حَيثُ أمسِي

طباق الإيجاب

أذكّرْتَنيهمُ الخُطُوبُ التّوَالي وَلَقدْ تُذكِرُ الخُطوبُ وَتُنسِـي

طباق الايجاب

طباق الإيجاب:

نلاحظ أن البحتري قد وظف طباق الإيجاب، فقد عمد الشاعر إلى هذا النوع من الطباق لكي يلفت انتباه القارئ، و يقرب الفكرة إلى ذهنه بوضوح من خلال عقد المقارنات مختلفة، و هدف الشاعر من توظيفه إلى إقناع القارئ و التأثير فيه، أما من

[1] أحمد مطلوب معجم المصطلحات البلاغية و تطورها ص 522
[2] البحتري الديوان ص 190

ناحية أخرى فدل الطباق على تأكيد المعنى و توضيحه إضافة إلى ذلك يكشف عن البراعة اللفظية للشاعر.

ب – المقابلة:

قابل الشيء بالشيء مقابلة و قبالا عارضه، و المقابلة: المواجهة و التقابل مثله: و قال العسكري" المقابلة إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى و اللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة [1] كما أنها ترتبط ارتباطا وثيقا بالطباق.

ويمثلان ثنائية و تتجلى هذه الثنائية في القصيدة عبر لوحات فنية متباينة، يقول البحتري:[2]

و بعيد ما بين وارد رفه علل شربه ووارد خمس

تتجلى المقابلة هنا بين وارد رفه – وارد خمس فالإبل الذي يخلى بينهما و بين الماء لترده متى شاءت و كيف شاءت و تمتد الثنائية التي جلت انقلاب جال الذات واردة الرفه إلى واردة الخمس لتنطلي على المنازل و الديار و ذلك المكان اللصيق بالشاعر يقول[3] :

حِلَلٌ لم تكُنْ كأطْلالِ سُعدَى في قِفَارٍ منَ البَسابسِ، مُلْسِ

وَمَسَاعٍ، لَوْلا المُحَابَاةُ منّي، لم تُطقها مَسعاةُ عَنسٍ وَعبسِ

نَقَلَ الدّهرُ عَهْدَهُنّ عَنِ الجِدّ ةِ، حتّى رجعنَ أنضَاءَ لُبْسِ

و مع التماثل الصوتي الجمالي في / عنس، عبس/ و ما فيها من جمال فإنهما تمثلان ثناءية الجنوب و الشمال فأولهما قبيلة قحطانية يمينة و أخرائهما قيسية عدنانية شمالية عفة العزيمة و الشدة و الباش

ج – الاستعارة:

الاستعارة مأخوذة من العارية أي نقل الشيء من شخص إلى شخص آخر حتى تصبح تلك العارية من خصائصها المعار إليه، والاستعارة مجاز لغوي عند أكثر البلاغيين، وأن كان عبد القاهر قد تردد فيها فجعلها مجازا عقليا مرة، ومجازا لغويا تارة أخرى[4]، فالاستعارة تشبيه مكثف يتنحى عن عملية الاختزال والحذف الذي يتم على

[1] أحمد مطلوب بمعجم المصطلحات البلاغية و تطورها ص 636
[2] البحتري الديوان ص190
[3] ديوان البحتري ص 191
[4] أحمد مطلوب بمعجم المصطلحات البلاغية و تطورها ص 82

مستوى التشبيه التام، والاستعارة قسمان: مصرحة ومكنية ما حذف فيها المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه، فنمثل لهذه الاستعارة في أبيات البحتري من خلال قوله [1]:

حَضَرَتْ رَحلي الهُمُومُ فَوَجّهْـ ـتُ إلى أبيَضِ المَدائن عُنْسِي

فمن براعة الشاعر وقدرته الفائقة في اللعب باللغة، فصور الشاعر الهموم شيئا ماديا يعمل فذكره المشبه وهو الهموم وحذف المشبه به وهو الجسم المادي ومصدر جمالها التجسيم، فالاستعارة هنا استعارة مكنية.

و قال أيضا[2]:

أتَسَلّى عَنِ الحُظُوظِ، وَآسَى لَمَحَلٌّ من آلِ ساسانَ، دَرْسِ

و تمثل الاستعارة في هذا البيت في كلمة أتسلى فهي صفة من صفات البشر، فشبه الحظوظ بالإنسان الذي يتسلى، فذكر المشبه و حذف المشبه به، و مصدر جمالها التشخيص.

و في قوله[3]:

أذكّرْتَنيهمُ الخُطُوبُ التّوَالي، وَلَقَدْ تُذكِرُ الخُطوبُ وَتُنسِي

استعارة مكنية فالخطوب إنسان يذكر صاحبه أو ينسي ومصدر جمالها التشخيص والبيت فيه حكمة.

والغرض البلاغ من هذه الأبيات: توضيح وتقوية المعنى وشرحها عن طريق تجسيد معنوي من صورة حسية، ومن هنا ننتقل إلى الفن من فنون البلاغة، وهو الذي تمثل فيه، و قوله[4]:

لَوْ تَرَاهُ عَلِمْتَ أن اللّيَالِـــي جَعَلَتْ فيهِ مأتَماً، بِـــعد عُرْسِ

استعارة تصريحية صور الحزن كالمأتم شبه الحال الذي كان فيها بالعرس ومن المشبه به، فقال[5]:

عكَسَتْ حَظَّهُ اللّيالي وَبَاتَ الـ ـمُشتَري فيهِ، وَهو كوْكبُ نَحسِ

[1]– البحتري –الديوان– ص190.
[2]– المرجع نفسه ص 190
[3]– المرجع نفسه ص 190
[4]– المرجع نفسه ص 190
[5]– المرجع نفسه ص 191

استعارة مكنية صور الليالي إنسانا قادرا على تغيير الوضع والحال ونلمح من خلال هذه الأبيات أن الاستعارة ليست مقتصرة على الهدف الجمالي والقصد التشخيصي، ولكنها أيضا ذات قيمة عاطفية ووصفية ومعرفية أو بتغيير ثاني نحيا بها

د- **الكناية:**

هي اللفظ المستعمل فيها وضع له لكن لا يكون مقصودا بالذات بل لينتقل منه إلى لازمة المقصود لما بينهما مع العلاقة واللزوم العرفي، هي أبلغ أنواع وأرفعه شأننا فتمثل لها في قول البحتري[1]:

لَوْ تَرَاهُ عَلِمْتَ أن اللّيَالِـــي جَعَلَتْ فيهِ مأتَماً، بـــعد عُرْسِ

وَهْوَ يُنْبيكَ عَـــــنْ عَجائِبِ قَوْمٍ لا يُشَابُ البَيانُ فيهم بلَبْسِ

مأتما بعد عرس كناية عن الحزن وإلا ألم في قوله عجائب قوم كناية عن عظمة الفرس تاريخيا وعراقتهم فننا وعمرانا.

و لمح ايضاح في قوله[2]:

وإذا ما رَأيْتَ صُورَةَ أنْطا كيَةَ ارْتَعْتَ بَينَ رُومٍ وَفُرْسِ

ارتعت كناية عن قوة التعبير الرسم حتى انك تفزع وتظن الأمر حقيقة .

نجد البحتري قد استخدم الكناية لأغراض بلاغية منها: تأثير الأسلوب الغير مباشر أكثر تأثيرا في من يقصد توجيه الكلام له غالبا.

[1]- البحتري –الديوان- ص 191

[2]- المرجع نفسه ص191.

الخاتمة

الخاتمة:

حظيت الطبيعة بمكانة كبيرة في قلوب الناس عامة، والشعراء خاصة، وذلك لكونها آية من آيات الله سبحانه وتعالى، في هذا الكون الذي يتجلى فيه صنع الله المتقن وإبداعه المتفرد، الذي جعل الشعراء على مر العصور يعشقون الطبيعة ويفتتون بجمالها، ويتحيرون في إدراك كنهها، وكلهم يسعى إلى أن يمثل للناس حسنها الباهر وجمالها، الفاتن بأحسن معنى وأبدع صورة وأجود لفظ، وفي هذا السياق كان موضوع هذه الدراسة (صورة الطبيعة في شعر البحتري، قصيدة إيوان كسرى أنموذجا، دراسة أسلوبية) هذا وقد وقف مدخل هذه الدراسة عند حضور الطبيعة في الشعر العربي فمنذ العصور الأولى ارتبط الشاعر العربي بالطبيعة المحيطة به، ولا نكاد نجد شاعرا يخلو ديوانه من شعر مرتبط بالطبيعة، ولو عدنا قليلا إلى العصر الجاهلي لرأينا ذلك التعامل الخاص الذي أبداه الشعراء تجاه الطبيعة، وهو تعامل يكشف عمق علاقتهم بها، وعلى هذا جاءت قصائدهم تعبر عن شعور إنساني مرهف، وغلبت على هذا الشعر ظاهرة الحسية المستمدة من الطبيعة. فالطبيعة إذن كانت أهم مصدر منح الشاعر المواد الأساسية لبناء قصيدته، وبفضلها استطع أن يضعنا أمام مشاهد طبيعية جمعت بين دقة الوصف، وتشخيص التفاصيل.

أما في العصر الإسلامي بقي ذلك الارتباط الحميم بين الشاعر والطبيعة وسار شعراء هذا العهد على درب آبائهم في الاستلهام من الطبيعة المحيطة به، وظلت هذه الطبيعة بعناصرها ومظاهرها نبعا عذبا ينهلون منه.

ولما دخلت معالم الثقافة الفارسية في الآداب العربية، ازداد اهتمام الشعراء بالطبيعة، حتى غدت عنصرا مهما في بناء إبداعهم الشعري، وقد افتتن الشعراء بالطبيعة الحاضرة ببساتينها ورياحينها ورياضها، واتسع نطاق وصفها، وبرز من الشعراء في هذا المجال، عدد كبير أمثال ابن الرومي، والصنوبري، وابن المعتز، والبحتري الذي علا كعبه في فن الوصف عامة، والطبيعة بصفة خاصة، فقد كان ابنها البار تعلق بها وأعجب بجمالها، وراح يصورها بصامتها وحييها، وكان من أبرز الموضوعات التي استأثرت

الخاتمة:

بقلبه، طبيعة الشام، وما امتازت به من سحر وجمال، خاصة في فصل الربيع، الذي رسم له الشاعر لوحات بديعة، تعد من عيون الشعر العربي، وهي تنطق بعبقريته، وله في الطبيعة المائية أبيات ومقطوعات تدل على افتتانه الكبير بها فقد وقف عند سحاب والمطر والبحر والنهر والبركة المتوكل، وكان بارعا في الربط بين هذه اللوحات المائية وبعض الأغراض الشعرية، خاصة المدح، حيث غدت هذه اللوحات معادلا موضوعيا للكرم والجود، والشجاعة والقوة .

لقد امتزجت الطبيعة بحياة الشاعر، وتفاعلت مع كيانه حتى غدت ظاهرة بارزة في شعره، إذ من الصعب على الدارس أن يجد قصيدة من قصائده لا تتجلى فيها الطبيعة، وإذا كانت الطبيعة الصامتة قد سحرت لبه، فإن طبيعة الحية قد استأثرت بقلبه، وتركته يتفاعل معها تفاعلا عميقا، فكان له في وصف الخيل مقطوعات بديعة، أبرزت المكانة التي حظي بها الفرس في هذا الزخم الحضاري، وله في الأسد قصيدة تعد من أجود ما نظمه، أما الناقة فكان له فيها أبيات ومقطوعات منثورة في ثنايا قصائد المدح، سلك فيها درب القدامى، كما نظم قصيدة تعد من درر شعره جسد فيها صراعه مع ذئب لقيه في الصحراء المقفرة، ولئن كان الحديث عن الذئب وفير في التراث العربي، فإن نص البحتري قد حمل جملة من الخصائص الفنية والأسلوبية والفكرية التي تميزه عن غيره وهذا ما حدا بنا إلى اتخاذ الأسلوبية منهجا نقديا نتوخى به الولوج إلى عالم النص وكشف شبكة العلاقات القائمة بين عناصر اللغوية وبعد التحليل واستقراء توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

أولا: على المستوى الصوتي:

تجلت براعة البحتري، وظهر إبداعه في بنائه لموسيقى النص، حيث استطاع أن يستثمر مجموع العناصر الإيقاعية في خدمة الغرض العام للنص، أما من حيث البحر فاختار الخفيف ذي الموسيقى الخافتة الهادئة، والذي يناسب جو الأطلال الموحشة في فضاء مدينة مهجورة لا تسمع فيها الأصوات لكنها ترى، كذلك يناسب حالة الكآبة والحزن والخشوع.

الخاتمة:

لم تكن القافية مجرد منسق إيقاعي صوتي، بل إنها وحدة دلالية وجزء حيوي في هيكل القصيدة، تخدم المعنى العام للنص وتؤازره في كشف الدلالات.

- اختار الشاعر "السين" راويا لهذا النص وهو من الحروف الأسلية.
- ساهمت الزحافات والعلل في كسر رتابة ونمطية الوزن.
- مثل الجناس ملمحا أسلوبيا واضحا في النص، إذ أن تقليب اللفظة نفسها يمنحها دلالات جديدة ويتركها تساهم في تحقيق التماثل الصوتي.
- أسهم التكرار في إثراء البعد الدلالي، الصوتي، من خلال شحن النص بجملة من المشاعر الذاتية التي ساهمت في تأكيد المعنى.
- حرص البحتري على تصريع مطلع قصيدته، حيث يثير انتباه المتلقي.

ثانيا: على المستوى التركيبي:

برز الخبر مهيمنا أسلوبيا لأن النص يقوم في أجزاء كثيرة منه على السرد، ونقل المشاهد، وهذا ما جعل حضور الأفعال يكون لافتا، وقد وظف البحتري في قصيدته الفعل أوفر من توظيف الاسم، فقد كانت الجمل الفعلية طاغية على سياق النص، فالشاعر يسعى من خلال مغامرته هذه إلى تغيير واقعه، والفعل هو الأقدر استيعاب مظاهر الحركة والحيوية وعدم الثبوت.

اعتمد كذلك على الصيغ الصرفية بما فيها: صيغ الجموع لتنبئ عن تزاحم وتكاثر واحتشاد واختلاط الأشياء والمشاعر قي عمق الشاعر.

- نجد اسم الفاعل الذي يصاغ من الفعل المبني للمعلوم على وزنين أشهرهما "الفاعل ومن الفعل الغير الثلاثي على وزن الفعل المضارع مع إبدال حرف المضارعة ميما مضمومة وكسر ما قبل أخيره.
- ونجد كذلك اسم مفعول الذي يشتق من الفعل المبني للمجهول للدلالة على وصف من يقع عليه الفعل.

ثالثا: على المستوى الدلالي:

استغل البحتري طاقات أساليب التصوير من تشبيه واستعارة وكناية رغبة منه في الوصول إلى الإقناع والتأثير، إضافة إلى أنها وسيلة فعالة للتعبير عن التجربة الشعورية.

استقى صوره من مصادر عدة أبرزها الطبيعة بمختلف مظاهرها وعناصرها، إضافة إلى التجربة الذاتية.

اعتمد الشاعر التشبيه الذي يرجعه إن هو أكثر تأثيرا في النفوس من الأسلوب المباشر غالبا، واستعمل كذلك الاستعارة التي برع فيها وتلاعب باللغة، وكان غرضه منها: توضيح وتقوية المعنى وشرحها عن طريق تجسيد معنوي في صورة حسية.

نالت الكناية حظا وافرا من اهتمام الشاعر، وقد تألفت مع باقي الصور في نقل الإيحاءات الكثيرة، والمعاني العديدة، بأدق لفظ وأوجز عبارة وأخيرا نقول إننا أمام نص شعري متكامل متماسك في مستوياته المختلفة، انصهرت لتجعلنا نقر أننا أمام شاعر عظيم، وأننا أمام قصيدة بديعة، لما توفرت عليه من ارتقاء وأسلوب بلاغي، هذا ما استطعنا الإلمام به من أطراف هذا الموضوع، فإن حالفنا التوفيق في من الله تعالى، وان جانبنا فمن أنفسنا فنرجوا أن تغفر زلاتنا وتقال عثرتنا والحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات.

ملحق

نبذة عن حياة البحتري وشعره

1 -نشأته و حياته:

هو أبو الوليد بن عبيد طائي الأب من عشيرة" بحتر"، التي انتمى و انتسب إليها بنسبة الشعري و حمل تلك النسبة، و تجول بها، عبر سيرته و عصره و شعره، طوال ما يقارب الثمانين عاما[1].

"منبج" قرية مشهورة بجمال مناظرها و حسن موقعها، و قد نشأ فيها البحتري، وتثقف ثقافتها الأولى، و بقي طوال حياته معلق القلب بها، يكثر الحنين إليها، و كان قومه الطائيون يقطنون ضواحي"منبج"، فاختلط بهم و ترعرع حتى تغلبت عليه فصاحتهم [2].

ليس لدينا أخبار عن هيئته، و صورته إلا ما روي عنه فيما بعد من أنه كان أسمر طويل اللحية، ونعتقد أنه تثقف مثلما كان يثقف أبناء المسلمين في ذلك العهد.

فحفظ القرآن أو شطرا كبيرا منه كما حفظ كثيرا من الأشعار و الخطب، و اختلف حين شب إلى حلقات العلماء في المساجد يأخذ عنهم اللغة و النحو و شيئا من الفقه و التفسير و الحديث و علم .

الكلام ، و قد أخذ ينظم الشعر مبكرا و كان يرجع فيه الى طبعه و لم يكن يقف على تسهيل مأخذه ووجوه إقتضائه حتى قصد أبا تمام. [3]

ترسم البحتري خطو أبي في الشعر و مضى على أثره في البديع، إلا أنه أجاد في سبك اللفظ على المعنى كما قال فيه ابن الأثير و استمد معانيه من وحي الخيال و جمال الطبيعة لا خيال العلم و المنطق، فأعاد للشعر ما ذهب من بهجته و روعته و الى ذلك أشار المتنبي بقول: أنا و أبو تمام حكيمان، و الشاعر البحتري إذا كان أحد أشهر شعراء العرب في العصر العباسي [4] روى الثعالبي في بعض مؤلفاته أنه سمع من قال له:

---

[1]– ايليا الحاوي، شرح ديوان البحتري مع مقدمة في سيرته و شعره، ج 1، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، ط 1، 1996،ص05.

[2]– حنا الفاخري، تاريخ الأدب العربي، المكتبة البوليسية لبنان، دار الأصالة الجزائر، ط 1، 1987،ص505.

[3]– ينظر: شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، تاريخ الأدب العربي 4، دار المعارف مصر، ط2، 1975، ص 271.

[4]– ينظر: أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار الشرق العربي، لبنان، بيروت ، طبعة جديدة دون تاريخ ص209 و 79 .

استظهاري على البلاغة بثلاثة: القرآن، كلام الجاحظ و شعر البحتري" [1]. حيث اشتهر ببلاغة أسلوبه الشعري فهو ساحر الكلمة و شعره سلاسل الذهب "كان فاضلا أديبا فصيحا بليغا شاعرا مجيدا و كان بعض أهل عصره بقدومه على ابي تمام وكان يجلس للشعراء فيعرضون عليه أشعارهم فلما سمع أبو تمام شعره أقبل عليه و قال له:أنت أشعر من أنشدني،وللبحتري تصرف حسن في ضروب الشعر.

سوى الهجاء فانه لم يحسنه وأجود شعره ما كان في الأوصاف وكان يتشبه بأبي تمام في شعره ويحذو حذوه،وينحو نحوه في بديع الذي كان أبي تمام يستعمله،ويراه إماما ويقدمه على نفسه ويقول الفرق بينهما قول ضعف أن جيد أبي تمام خير جيدي ورديئي خير من رديئه". [2] حتى كتب أبو تمام إلى معرة النعمان يوصيهم به لما رأى فيه من علامات النجابة والذكاء وسلامة الطبع وحسن التصرف وفصاحة المنطق.

كانت حياته مزيجا من بداوة وحضارة، فترك كل من هذين الجانبين بصمات واضحة على صوره لقد نشأ البحتري نشأة بدوية ، فولد في "منبج" وعاش في باديتها وبقي يحن إليها ،ويتردد لها طيلة.

أيام حياته و قد ظهر أثر هذه الحياة البدوية في شعره ظهورا سافرا، نجده في ميله إلى القديم بشكل خاص، و في بعض موضوعاته شعره في وصف الذئب و الأسد و الفرس مثلا ، كما نجده في فنه عامة الأمر الذي أكسب شعره الأصالة و العفوية، و طبع روحه بالبسطة و الصدق و النقاء بعيدا عن التفلسف، و المنطق الجامد، ومن آثار البداوة في شاعريته أيضا ميله إلى المشاعر و العواطف يستقي منها أشعاره ، و إلى الخيال الصافي الجلي الذي يميل إلى المحسوسات بعيدا عن العقليات و المجدات، وقد برز أثر في ابتعاده عن الصنعة و التكلف.

---

[1]– عبد اللطيف شرارة، شعراؤنا القدامى –أبو عبادة البحتري– دراسات و المختارات الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب العالمي الإفريقية العربية، بيروت لبنان،ط 1990،1،ص69

[2]– ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج 5، دار الكتب العلمية، بيروت 1411هـ،ص57

أما الجانب الآخر فنجده ففي حياة اللهو و الترف التي عاشها عن طريق اتصاله بالخلفاء و عليه القوم و حياته في القصور، هذا الجانب الحضري من حياة البحتري كان له هو الآخر أثره البعيد في شعره .[1]

هكذا تبين أنه لم يقض شيخوخته في الإنابة إلى الله معرضا عن مباهج الحياة الدنيا الزائلة و إنما بقي يلتهف على هذه المباهج التي عرفها و ضاق طيباتها و هذا ما تبينه هذه البيات في قوله:[2]

نضـــوت الصبى نضو الرداء، وساءني مضيء أخي متى يمض لا يجـــي

فمن مبلغ عنـــــي الثمـــــالي أنـــــــه مكـــــــان اشتكـــــائي خـــــاليا وتفرجـــي

متـــــى يأته الركـــــبان يوصل زعيمهم رســـــالة مطـــرود عـــــن اللهو مزعج

الثمالي هو المبرد النحوي البصري االمشهور الذي دعاه البحتري وهما شيخان متقدمان في السن إلى عقد مجلس شراب و جاء في دعوته قوله: [3]

فـــأننـــا يا مـــحمد بـــــن يزيـــد استتار لا يـــــراك الرقيـــــــب.

نـــطـــرد الـــهم باصـــطباح ثلاث مترعات تنف بهن الكروب.

إن في الراح راحة من جوى الحب وقـــلبي إلـــى الأديـــب طروب.

لا يرعـــك المشـــيب مني فإنـــــي ماثنائي عن التصابي المشيب.

"وعلى هذه الحال من الشغف بالحياة و لذتها فاجأته المنية سنة 284هـ وترك شعره غير مجموع يقول صاحب وفيات الأعيان: ولم يزل شعره غير مرتب حتى جمعه لصولي

[1] – ينظر: زكي المبارك، الموازنة بين الشعراء، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ،جمهورية مصر العربية،ط2،2011،ص124–125

[2] – محمد عبد الرحيم، ديوان البحتري من السيرة و الأقوال و النوادر، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، ط 1 2008، ص58.

[3] – المرجع نفسه، ص29.

ورتبه على الحروف وجمعه أيضا حمزة الأصبهاني ولم يرتبه على الحروف بل على الأنواع كما صنع بشعر أبي تمام [1]".

وقد ترك البحتري عند وفاته ثروة جمعها منن المديح جعلت من ذريته سادة أغنياء في قومهم.

"للبحتري ديوان شعر كبير يسمى أحيانا " سلاسل الذهب" طبع في القسطنطينية سنة (1882م- 1300هـ) عن مخطوط يرجع تاريخه (1032م-424هـ) وهو مرتب حسب أسماء الأسر والأشخاص الذين قيل فيهم الشعر، طبع في مصر في(1911م-1329هـ)، وفي بيروت في السنة نفسها وقد جمعه قديما أبو بكر الصولي ورتبه على حروف المعجم، وجمعه أيضا علي بن حمزة الأصفهاني ورتبه على الموضوعات [2]".

وقد شرح أبو العلاء المعري هذا الديوان وسماه"عبث الوليد" ولكن الحوار بين النقاد والمؤرخين كان حول كتاب"الحماسة" للبحتري فمنهم من قال الكتاب على مثال كتاب حماسة أبي تمام، ويقول البغدادي في "خزانة الأدب": لا علم لي أن يكون للبحتري حماسة برغم من أن أكابر المؤرخين ينسبونها إليه في ترجمتهم له، كابن النديم وياقوت الحموي وابن خالكان والصفدي، وفي الفهرس لإبن النديم يقول: وله من الكتب كاتب الحماسة على مثال حماسة أبي تمام و كتاب معاني الشعراء، وقال الصفدي في محور ما كتبه عن حماسة أبي تمام فيقول: وحماسة البحتري أحسن منها وأكبر وأكثر أنواعها. [3]

وقد نشره الأب لويس شيخ وفي الشعراء في بيروت سنة 1910م عن مخطوطة فريدة عثر عليها في مكتبة ليدن، وتمتاز حماسة البحتري عن حماسة أستاذه، بكثرة أبوابها فهي تحوي 174 بابا ضمنت معظم المعاني الأدبية التي دارت على ألسنة الشعراء، ورتبت بحسب هذه المعاني و الخلجات النفسية اثم تمتاز بعدد الشعراء الذين يبلغون نحو

[1]- موهوب مصطفاوي: الرمزية عند البحتري، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، د، ط، 1981 ص 135.

[2]- حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص 504.

[3]- المرجع نفسه ص 509.

600 جلهم من الجاهلية و صدر الإسلام كما تمتاز أخيرا بحسن الاختيار و سلامة الذوق[1].

2- أغراض الشعر عند البحتري:

نشأ في بيئة عربية خالصة، وعاش في باديته بني طي ثم اتصل بالحضارة في بغداد، ونال قسطا وافرا منها إلا أنها لم تغير مخزونه اللغوي، وحضوره الذكي وطبعه البدوي الأصيل، ولم يلجأ إلى زخرفة القول شأن أستاذه أبي تمام، وفي ذلك يقول صاحب الغاني:"إنه بقي على شيء من الطباع، والعادات التي يجفونها أهل المدينة، إلا أنه حافظ على طبعه، وسجيته في الشعر".

تتلمذ على يد أبي تمام، وحفظ عنه وصايته في صنعه الشعر وكان أبرز مميزات شعره، سعيه إلى تلاؤم الموسيقى في الكلمة و العبارة، وقد أثر "البختري" سلسسة الألفاظ ورقة المعاني وظرافتها على جمال الديباجة وزخرفتها [2]

- وقد حدد البحتري مذهبه لشعري حيث قال: [3]

كـــلفـــونا حـــدود منـــطقكـــم في الشعر يغلي عن صدقه كذبه.
ولم يكن ذو القروح يلهج بالمن طـــــق مـــا نوعـــه ومـــا سببه.
والشـــعر لـــمح تكفـــي إشارته وليـــس بالهـــذر طولـــت خطبه.

أي أنه يرى جمال النص في صورته، لا فيما يتضمن من أفكار وهذا الرأي ذهب إليه الكثيرون من النقاد أمثال:"الجاحظ" في قضية اللفظ و المعنى. أما أغراضه الشعرية فتشمل كل ما كان قبله من فخر وغزل ورثاء ومدح وهجاء ووصف وعتاب وحكمة ويجمع النقاد على إجادة البحتري للمدح والغزل والوصف والرثاء ويرون أنه ضعيف الهجاء قيلي الحكمة [4]

[1]- المرجع نفسه ص 509.
[2]- أمين أبو ليل، العصر العباسي الثاني، مؤسسة الوراق للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، د،ط 2009- ص156
[3]- البحتري، الديوان، وزارة الثقافة الجزائر، 2007، د، ط، ص 234.
[4]- موهوب مصطفاوي: الرمزية عند البحتري، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع: الجزائر، د، ط، 1981 ص346.

ونجد ابن المعتز نبه إلى أغراض الشعر التي بعد البحتري متفوقا فيها، فقال: لو لم يكن للبحتري من الشعر إلا قصيدته السينية في إيوان كسرى فليس للعرب سينية مثلها، وقصيدته في وصف البركة واعتذاراته في قصائده إلى الفتح بن خاقان، التي ليس للعرب بعد اعتذاراته النابغة مثلها، وقصيدته في ابن دينار ومعاركه البحرية، لكان أشهر الناس في زمانه[1].

أ -المدح:

أدرك "البحتري" أن المدح هو الطريق الأمثل للغنى والجته لذا كرس حياته وشاعريته لهذا الغرض [2].

فقد مدح جما غفيرا من الناس منهم الخلفاء والأمراء والوزراء وأكابر الدولة و الو أظهر لباقة كبيرة في مدح هذه الأصناف المختلفة المراتب والمنازل إذ يصف كل واحد من ممدوحيه بما يناسبه من الصفات و يقدم له ما يجب من القول فجاء مدحه للخلفاء قصيرا لرغبتهم في القصر لأنه يعلق بذهن السامع ولا ينسى.

وأجود مدح البحتري ما قال في المتوكل وكان ينحو فيه نحوا مثاليا فيه تعظيم وتقديس يشبهان تعظيم الفرس والرومان لملوكهم فقد سبقه إلى هذه النزعة "أبو نواس" و "أبو تمام" ثم جاء بعده "المتنبي" ورأى في سيف الدولة الرجل الممتاز الذي ينشده كما ينشده الفيلسوف الألماني"نتشه" [3]

إذ يقول في المتوكل:[4]

خلــق الله جعفرا قيم الــدنــ ... يــا ســدادا وقيم الــديــن رشــدا.
أكرم النــاس شيمــة أتم النــا ... س خلقا وأكــثر الناس رفدا.
مـــلك حصنت عزيمته المل ... ــك فأضحت لــه مغاثا وردا.
أظهــر العدل فاستنارت به الأر ... ض وعم البلاد غورا ونجدا.

[1] – أمين أبو ليل، العصر العباسي الثاني،ص 157.
[2] – المرجع نفسه ص157.
[3] – موهوب مصطفاوي: الرمزية عند البحتري، ص349.
[4] – ديوان البحتري،ص28 .

وقال مادحا وزير المتوكل"الفتح بن خـــــاقـــــان [1]:

بلونا ضرائب من قد نرى فما إن رأينا لفتح ضريبا

هو المرء أبـــدت له الحادثا ت عزمـــا وشكيا ورأيا صليبا

فكالسيف أن جئته صارخا وكالبحر ان جئته مستثيبا

متى كرم الله أخلاقـــه وألبسه الحمد عضا قشيبا

فتميزت مدائحه باختيار مايليق بصاحب النص من صفات فالخليفة كما شهدنا يوصف بالعدل، والتقوى والصلاح، والوزير بنفاذ الرأي و عمق البصيرة، و حسن تدبير الأمور و القائد، بالسطوة و القوة، والقدرة على تحقيق النصر [2]

وفي ذلك يقول في مدح القائد البحري "أحمد أبو دينار" [3]

يسوقون أسطولا كأنه سفينته سحائب صيف من جهام وممطر.

كأن ضجيج البحر بين رماحهم اذا اختلفت ترجيع عود مجرجر.

فما رمت حتى إذا أجلت الحرب عن طلى مقطعة فيهم وهام مطير.

وما من حادثة تمر إلا وستفكها في المدح، وفي ذلك بعبور انتصارات الجيوش الإسلامية مع الروم، والترك، والأرمن، فمدح المتوكل وقائده يوسف بن محمد الثغري فقال:[4]

هو الملك الموهوب للدين والعلى فله تقواه وللمجد سائره .

له البؤس كسر الزجاجة بعده ومن يجبر الوهي الذي أنت كاسره

واستثمر "البحتري" في مدح الخلفاء من المتوكل حتى المعتضد حتى عده البعض، الشاعر الرسمي للدولة وحرص الشاعر على تطوير أدواته الشعرية، ليبقى أثيرا لدى الخلفاء [5]

[1]– المرجع نفسه، ص107.

[2]– أمين أبو ليل، العصر العباسي الثاني،ص 159.

[3]– ديوان البحتري،ص452.

[4]– المرجع نفسه،ص 284–285.

[5]– أمين أبو ليل، العصر العباسي الثاني، ص 158–159.

وأما من الناحية الأدبية فمدحه متعة رغم تقلده لمعاني من سبقه من الشعراء ولا سيما أبي تمام هذه المتعة يرجع الفضل فيها إلى جمال أسلوبه المنسجم الرقيق اللطيف في موسيقى عذبة أخاذة [1].

ب –الوصف:

برع البحتري في الوصف براعة فائقة جعلت الأدباء والعلماء بالشعر يلهجون بها ويثنون عليها عبد الله ابن المعتز:"لو لم يكن للبحتري إلا قصيدته في صفة البركة" ميلوا إلى الدار من ليلى نحييها "، وقصيدته في دينار بن عبد الله التي وصف فيها ما لم يصفه أحد قبله وهي التي أولها" ألم تر تغليس الربيع المبكر" وصفة حرب المراكب في البحر لكان أشعر الناس في زمانه فكيف وقد أنضاف إلى هذا صفاء مدحه ورقة تشبيهه في قصائده[2]

حتى عد من أربابه، لماله من شهرة في وصف جماليات الكون ومعطيات الحضارة الحديثة، كالقصور، والجنان وفيه يقول حازم القرطاجني:" وللشعراء مذاهب ما يعتمدون إيقاعه في الجهات التي يعتمدون فيها القول: من الأنحاء المستحسنة في الكلام، كالأوصاف والتشبيهات والحكم والتواريخ، فقل ما يشد من مستحسن الكلام عن هذه الأنحاء الأربعة شيء فمنهم عنايته بالأوصاف كالبحتري" [3].

قد عده نقاد العصر الحديث إمام الصنعة، إنه فريد الوصف جيده أكسبه لوصف شهرة تميز بها على أقرانه.

ويرجع د.الوقيان إلى أمور منها: انه يحسن تصوير المرئيات، ويحرص على انتقاء الألفاظ الرشيقة الموحية ذات المذاق الحلو، والرنين المؤثر.

[1] – موهوب مصطفاوي، ص352.
[2] – المرجع نفسه، ص361.
[3] – حازم القرطاجني، مناهج البلغاء وسراج الأدباء

وينأى عن التعقيد والتراكيب الوعرة والاستعارات الغريبة والتشبيهات البعيدة التي يحتاج هضمها إلى إعمال فكر وكد ذهن [1]

ومن أجمل المناظر الحضارية التي وصفها بركة المتوكل [2]:

يا من رأى البركة الحسناء رؤيتها و الإنسان إذا لاحت مغانيها.

يحسبهـــا أنهـــا فـــي رتبتـــــها تعد واحدة و البحر ثانيهـــــــا.

مـــا بـــال دجلة كالغيرى تنافسها وفي الحسن طورا وأطوار تباهيها.

كأن جن سليمان الذين ولو إبداعها فأدقوا في معانيها .

إذ علتها الصبا أبدت لها حبكا مثل الجواشن مصقولا حواشيها.

إذ النجوم تراءت في جوانبها ليلا حسبت سماء ركبت فيها.

ج- الرثاء:

سار البحتري على نهج سابقيه في غرض الرثاء، اذ أخذ حيزا لا بأس به عنده، اذ أعطى أثرا كبيرا للوفاة، وفقدان الاحبة، مرفقا له أسلوب الضعف والوهن، والنفسية السيئة وقد اعتمد ارثاء على صنعة مميزة، لان العاطفة الفنية نية تظهر كأنها تغني عن العطفة الحقيقية، ومن أشهر ما قاله في حق المتوكل حيث تتجلى روعة الصنعة وفخامتها [3]

ومما قاله[4]:

ولى وقد من جوده نعما يقوم بشكرها الأقوام.

لا يهمني الروم استراحتهم فقد هدؤوا بافواه الدروب و ناموا

[1]- أمين أبو ليل، العصر العباسي الثاني، ص 160

[2]- البحتري الديوان،ص35.

[3]- ضا الفخوري، تاريخ الأدب العربي، المكتبة البوليسية ، لبنان، دار الأصالة الجزائر ط 12 1987 ص511 بتصرف .

[4]- محمد عبد الرحيم، ديوان البحتري مع السيرة والأقوال والنوادر، دار الراتب الجامعية، لبنان ط 1 2008،ص 297.

أمنوا ما أمنوا الردى حتى انطوى في القرب ذاك الكر و أقدام

يرى النقاد أن الفرق بين الرثاء و المدح، إلا ذكر "كان"، "تولى"، " قضى نحبه"، وهو ما لمسناه في شعر البحتري في هذا الغرض، باستثناء ما قاله في المتوكل وغلامه "قيصر"، لأنه أقرن رثاءهما برثاء نفسه مع الحسرة [1]

وهو يقول في رثاء غلامه قيصر[2]:

ملامك، إنه عهد قريب ورزء ما عفت منه الندوب

تعللني أضاليل الأماني بعيش بعد قيصر لا يطيب

نصيبي كان من دنياي ولى فلا الدنيا تحس ولا النصيب .

تميز الرثاء عند البحتري بأسلوب فخم صادق العاطفة يسودها التوجع والجزع

د-الغزل:

تميز غزله بأنه تصدر عدة قصائد مدح له، وفي بعض الأحيان أرفقه بحاجة فنية وتقليد شائع، وكان سطحي العاطفة، ولكن هذا لم يمنع الشاعر من طبع هذا الفن بطابعه الخاص مرفقا بالرقة والحلاوة، إذ يقول في حقه صاحب العمدة "والبحتري الأرق الناس نسيب وأملحهم طريقة ألا تسمع" [3]

يعتبر هذا حكم مطلق بأن البحتري رائد الغزل دون منازع، فهو رقيق الإحساس والأذن تستمتع بسماع غزله.

يقول البحتري[4]:

إني، وإن جانبت بعض بطالتي وتوهم الواشون أني مقصر.

[1]– موهوب مصطفاوي، الرمزية عند البحتري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر د. ط 1981، ص354.
[2] – محمد عبد الرحيم، ديوان البحتري مع السيرة والأقوال والنوادر، ص 33.
[3]– موهوب مصطفاوي، الرمزية عند البحتري، ص374 بتصرف.
[4]– البحتري –الديوان– ص23.

ليشوقني سحر العيون المجتلى ويروقني ورد الخدود الأحمر.

يمدح البحتري في قصيدته هذه المتوكل، أرفقها بأبيات من النسيب قالعا في "علوة"، ومن أحسن شعره في الغزل يدور كله حول هذه الفتاة الحسناء التي عرفها في صباه بحلب.

جاء غزل البحتري على أوصاف جمة لما يعترض المحب من دفع، وصد وهجر وفراق، وألم وحرقة، والرحيل، إلا أنه أكثر بنوع خاص من وصف الطيف، وخيال الحبيب الذي يتوارى في المنام حتى عرف بشاعر الطيف [1]

إذ يقول البحتري[2]:

أجدك ما ينفك يسري لزينبا خيال إذا آب الظلام تأوبا

سرى من أعالي الشام يجلبه الكرى هبوب نسيم الروض تجلبه الصبا

وما زارني إلا ولهت صبابة إليه، وإلا قلت: أهلا ومرحبا.

يلاحظ في غزل البحتري تداخل حيث أنه حين يتغزل يشبه حديث محبوبته بالغيث الذي يجود على أرض محل، فتحول قحط الأرض خصبا وحياة.

"ولا يحسبن أحد أن البحتري في مواقفه الغرامية هذه كان على شيء من الضعف أو الشذوذ أو الإغراق في الخيال التائه، وإنما هو نتائج ثقافة وتاريخ وتعبير عن حالة إنسانية تتمتع بجميع المزايا التي تجعل من الإنسان إنسانا [3].

يقول البحتري[4]:

إذا ما تدانينا، فأنت علاقة وإما تباعدنا، فأنت غرام

---

[1]– حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص510.

[2]– البحتري: الديوان، ص96.

[3]– عبد اللطيف شرارة، شعراؤنا القدمى، أبو عبادة البحتري دراسة ومختارات الشركة العالمية للكتاب طباعة النشر والتوزيع، دار الكتاب العالمي، الدار الإفريقية العربية، ط 1990–1. ص62 بتصرف.

[4]– البحتري –الديوان– ص410.

أرى الناس في جو تحلين غيره ولي منهم برء ومنك سقام

وكلفني حبيك أن أتبع الهوى يظل، وآتي الأمر، فيه ملام

نجد البحتري سار على نفس نهج أبي نواس في المجون والتغزل بالمذكر، وإذا قارنا شعره بشعر الغزلين وجدناه خاليا من هذا الحزن، والناتج من نزوعهم إلى الاتصال الروحي الكامل بينما يبدي البحتري في غزله اشتياقا وتعطشا إلى المتعة باللذة الحسية

ه- الهجاء:

شاع هذا اللون من الشعر في بداية العصر العباسي، والمتأمل في شعر البحتري يجد أنه على الرغم من أنه خلف لنا ما يزيد عن ستين قطعة في فن الهجاء، فأكثرها يترك انطباع بقصر إبداع البحتري وقلة حيلته في هذا الميدان، إذ أن معظم مقطوعته يتراوح عدد أبياتها من بيتين و ستة أبيات وغالبا ما تكون محدودة المعاني قليلة التصرف[1]

تميز المدح والهجاء بالمراوحة بينهما، إذ يمكن للشاعر العباسي أن يمدح الشخص ويهجوه بعد ذلك [2]، وذلك لعدم حصوله على المكافأة أو كثرة الإغراء من قبل الأعداء والخصوم، ونجد البحتري يهجو قوما من أهل بلده إذ يقول [3]

قل للأرند إذا أتى الرحين لا تقرا السلام على أبي ملبوس.

دار بها جهل السماح، وأنكر الـــ معروف بين شمامس وقسوس.

لم يسمع بالمكرمات ولم ينح في دارهم ضيف سوى إبليس.

يصف البحتري قومه بالبخل و الشح إلى درجة أن ضيفهم الوحيد هو إبليس لعنه الله، أما من جهة للحرب فهم غير منصتين وغير ملبين وكأ، الأمر لا يعنيهم

[1]- اليظي صالح، البحتري بين نقاد عصره، ص 201.
[2]- عز الدين اسماعيل، في الأدب العباسي، الرؤية والفن، دار النهضة العربية -بيروت- لبنان- 1975، ص391.
[3]- محمد عبد الرحيم، ديوان البحتري مع السيرة والأقوال والنوادر،ص 178.

و- الفخر:

حظي غرض الفخر عند البحتري بمكانة مرموقة، شأنه في ذلك شأن بقية الشعراء بهدف التباهي وإشادة بالنفس وتعداد مناقب ومكارم القوم، كما أودعه إعجابه بنفسه وكبره المفرط، ذلك الكبر الذي لا طالما حال التكسب دونه في حياة الشاعر، فاضطره إلى كسر عنفوانه وعناده وهضم الإهانة في حذر خشية صد العطاء [1]

قال البحتري في رفع شأن عربي اليمن على عرب الحجاز هذه أبيات [2]:

ذهبت مليء بسابقة المجد على العالمين بأسا وجودا

معشرا مسكن حلومهم الأرض وكادت من عزمهم أن تميدا

نزلوا كاهل الحجاز فأضحى لهم ساكنوه طرا عبيدا

نهج البحتري في هذا اللون ومن خلال هذه الأبيات، نهج أبي نواس الذي افتخر بقحطان وهجا عدنان وفي ذلك شعوبية تميل على تفضل الحضارة الدواة .

افتخر البحتري بنفسه ومنزلته عند الخلفاء إذ يقول [3]:

ومن الأقارب يسر بميتتي سفها، وعز حياتهم بحياتي

إن أبقى أو أهلك فقد نلت التي ملأت الصدور أقاربي وعداتي

غنيت ندمان الخلائف نابها ذكري، وناعمة بهم نشواتي

قدم الشاعر بصناعة جيدة، لها عاملين هامين، جعلا منه متألقا، طويل البياع ، أولهما انتماؤه الثابت إلى واحدة من أقوى وأعظم القبائل وهي "طيء"، وثانيهما كان باكورة شعراء عصره دون منازع ولقد نال شهرة واسعة حتى لدى الخلفاء نظرا لنبوغه وشاعريته الكبيرة.

---

[1]- حنا الفاخوري-تاريخ الأدب العربي، ص 511.

[2]- محمد عبد الرحيم، ديوان البحتري مع السيرة والأقوال والنوادر،ص 81.

[3]- المرجع نفسه ص 55

ز- اللوم والاعتذار:

اشتهر البحتري وبرع في لوم وعتاب الخلفاء وأصدقائه، أو الاعتذار لهم، إذ قال فيه ابن الرشيق: وأحسن الناس طريقا في عتاب الأشراف شيخ الصناعة وسيد الجماعة أبو عبادة البحتري، وكان الاعتذار ممزوجا بالعتاب لا يتخلى عنه وكان مجال اعتذاراته أكثر سعه ورحابة ممن سبقه من مشاهير الاعتذار أمثال النابغة الذبياني لأن اعتذاراته كانت تصدر عن خوف، وتتسم بالأذلال في حين كان البحتري معتدا بنفسه لا يرهب العتاب، لأنه بمثابة الند لمن يعاتبهم ومن ذلك عتابه واعتذاره لصاحبه الوزير اسماعيل بن بلبل، يقول وكأنه يحاور نفسه بلطف[1].

اعتبر ابن الرشيق أن البحتري رائد هذا الفرض بل، ويتفوق على الكثيرين ممن سبقوه، وعلى رأسهم النابغة الذبياني، وكان البحتري كاريزما وشخصية فريدة من نوعها فلا مجال لي يظهر الضعف أو الوهن لمن كان.

قال البحتري في اللوم والاعتذار [2]:

أردد بليت شعري مادهاني لديك؟ لو انتفعت بليت شعري

متى أسأل بسخطكما جناه مستخبر أن لبست أدري

بلى حضروا رغيت، وكان نقصا على حضورهم ومعيب ذكري

لئن حشد الرجال عليك دوني لما حشدوا عليك يمثل بشعري

استعمل البحتري اللوم والتثريب أيضا في سبيل التكسب، لتذكير ممدوحيه كي لا ينسوه من نصيبه من العطاء، مبديا في ذلك حذاقة ومهارة عالية، مع رقة ولطف محكمي الصنع، وحتى التأنيب والتهديد أضاف عليه حلاوة وطلاوة، وسهولة المأخذ حتى أصبح من أبرع الشعراء العرب في هذا الغرض، ونجد من لومه ما قاله في حق أبي وهب [3]:

---

[1]- أمين أبو نيل: العصر العباسي الثاني، مؤسسوا الوراق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، د-ط 2009 ص164.
[2]- محمد عبد الرحيم: ديوان البحتري مع السيرة والأقوال والنوادر،ص 162.
[3]- البحتري -الديوان- ص234-235 .

أأعجزتكم مكتفأتي به، ولكم مصر فما فوقها فالسد فاليمن

هل في مسامعكم عن دعوتي صمم أم في نواظركم عن خلتي وسن

يهمني الروم استراحتهم فقد هدؤوا بافواه الدروب و ناموا

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع

1. القرآن الكريم عن رواية ورش بن نافع
2. الحديث النبوي الشريف
3. ابن الأثير الكامل في التاريخ: بيروت –لبنان– 1965، ج7
4. ابن كثير أبو الفداء الحافظ–البداية و النهاية– بيروت–لبنان– 1969 ج1
5. أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، الكامل، تحقيق: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، ج2 ، أبو عمر أحمد ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين، أحمد الزير، ابراهيم الأبياري، لجنة التأليف و الترجمة والنشر 1948م، ج3، الإمام أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، الكامل، تحقيق: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، ج2
6. أبو الفلاح عبد الحي بن عماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الأفاق الجديدة، بيروت، المجلد الأول، ج 2
7. أبو بكر الصولي – أخبار البحتري – تحقيق – د– صالح الأشطر – دار الفكر – دمشق 1964
8. أحمد أحمد بدوي، البحتري دار المعارف، ط 4،د، ت
9. احمد حسن الزيات تاريخ الأدب العربي دار نهضة مصر للطبع و النشر الفجالة القاهرة–مصر– ط1
10. أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار الشرق العربي، لبنان، بيروت ، طبعة جديدة دون تاريخ
11. أحمد حيزم، فن الشعر ورهان اللغة، بحث في آليات الخطاب الشعري عند البحتري دار محمد علي 2005، تونس
12. أحمد سوسة سامراء، – مطبعة المعارف – بغداد 1948، ج
13. أحمد مطلوب معجم المصطلحات البلاغية و تطورها ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، رقم الايداع 586 ، 1986
14. أحمد مطلوب معجم المصطلحات البلاغية و تطورها ، مكتبة لبنان، ناشرون ط 200 ج 2
15. الآمدي ،الموزانة بين شعر أبي تمام و البحتري، تحقيق أحمد صقر دار المعارف مصر ط4 ج2
16. أمين أبو ليل، العصر العباسي الثاني، مؤسسة الوراق للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، د،ط 2009–
17. إيليا الحاوي فن الوصف وتطوره في الشعر العربي منشورات دار الشرق الجديد ط1، ج2 1960
18. إيليا الحاوي، شرح ديوان البحتري مع مقدمة في سيرته و شعره، ج 1، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، ط 1 1996،
19. البحتري – الديوان– ، وزارة الثقافة ، الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007
20.

21. البحتري الديوان:تحقيق، شرح و تعليق، حسن كامل الصيرفي دار المعارف القاهرة، ج،م،ع، ط3، ج1
22. بطرس البستاني ، أدباء العرب مني العاصر العباسية (حياتهم، أثارهم ، نقد أثارهم) دار مارون عبود 1979
23. جلال الدين السيوطي: الدر المنثور في تفسير المأثور، دار الفكر للطباعة و النشر ط1 1983،ج6
24. جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء تحقيق محي الدين عبد الحميد، ط 2، مطبعة السعادة 1959،
25. جورجي زيدان تاريخ آداب اللغة العربية، مراجعة شوقي ضيف، طبعة دار الهلال ج2
26. جورجي زيدان تاريخ التمدن الإسلامي ، مراجعة و تعليق حسن مؤنس ، دار الهلال ط2 1928 ج4
27. حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ت،ح، محمد الحبيب بن خوجة، دار الكتب الشرقية –تونس– 1966
28. حسن ابراهيم حسن– تاريخ الإسلام السياسي والديني والاجتماعي في العصر العباسي الثاني 1949 مكتبة النهضة المصرية ج3
29. حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، المكتبة البوليسية لبنان، دار الأصالة الجزائر، ط1987،1
30. حنا الفاخوري، الموجز في الأدب العربي، وتاريخي، –دار الجيل– بيروت، ط2، 1992، ج2
31. خليل شرف الدين، الموسوعة الأدبية المسيرة (6) دار و مكتبة الهلال للطباعة و النشر بيروت – لبنان– 1996–
32. رابح بوحوش، اللسانيات، تطبيقها على الخطاب الشعري، دار العلوم للنشر و التوزيع ، الجزائر 2006
33. رسائل الجاحظ – تحقيق عبد السلام هارون ، رسالة مناقب الترك ج 3 ط الخانجي 1979
34. زكي المبارك، الموازنة بين الشعراء، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،جمهورية مصر العربية،ط2، 2011.
35. السباعي بيومي، الأدب وتاريخه بالمشرق، مكتبة الأنغلو، ط 1، 1953، ج2،
36. شاكر هادي الشكر، الحيوان في الأدب العربي – مكتبة نهضة العربية– ط 1 ، 1985 ج 1
37. شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، تاريخ الأدب العربي 4، دار المعارف مصر، ط1975،2،
38. صالح حسن القيظي – البحتري بين نقاد عصره –دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزيع – بيروت، ط1 1982م .

39. الطبري: تاريخ الرسل و الملوك: تحقيق محمد أبو الفضل، القاهرة 1969 ج8
40. عباس محمود العقاد : ابن الرومي – حياته من شعره ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة السادسة ، 1967 ، ص 22
41. عبد السلام المسدي ، الأسلوب الأسلوبية ، الدار العربية للكتاب تونس ط 2
42. عبد اللطيف شرارة، شعراؤنا القدامى –أبو عبادة البحتري– دراسات و المختارات الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب العالمي الإفريقية العربية، بيروت لبنان،ط 1،1990
43. عبيد صبحي، محمد عباس حسن– رسالة الدكتورة– إشراف د، زكريا صيان، معهد أدب – الجزائر 1985
44. عز الدين اسماعيل ، في الشعر العباسي،الرؤية والفن ،المكتبة الأكاديمية القاهرة مصر ط 1،1994
45. عز الدين اسماعيل، في الأدب العباسي، الرؤية والفن، دار النهضة العربية –بيروت– لبنان– 1975
46. علي أحمد الخطيب فن الوصف في الشعر الحاهلي– دار المصرية اللبنانية القاهرة– ط1، 2004
47. علي شلق، ابن الرومي في الصورة والوجود، دار النشر للجامعين، الطبقة الأولى 1960م
48. فوزي عيسى : في الشعر العباسي ، دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية – مصر ،ط1 2008
49. محمد الخضري – محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية – الدولة العباسية ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان – ط 2 : 2004 م 1424 هـ
50. محمد عبد الرحيم، ديوان البحتري من السيرة و الأقوال و النوادر، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، ط1 2008
51. محمد عبد المنعم خفاجي، ابن المعتز و تراثه في الأدب و النقد والبيان ، دار العهد الجديد للطباعة ط 2
52. موهوب مصطفاوي: الرمزية عند البحتري، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع: الجزائر، د، ط1، 1981
53. نديم مرعشلي– البحتري، عصره، حياته شعره، أطلس للدراسات والترجمة والنشر– دمشق– ط2–1987
54. نور الدين السد تحليل الخطاب الشعري ، رثاء صخر نموذجا مجلة اللغة والأدب، العدد 8 ،1996م الجزائر
55. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج5، دار الكتب العلمية، بيروت 1411هـ
56. يونس السامرائي ، سامراء في الأدب القرن الثالث الهجري ، مطبعة الإرشاد ، بغداد 1968

الفهرس

إهداء

شكر وعرفان

مقدمة ..... أ–ه

مدخل: الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية في العصر العباسي 1

الفصل الأول: تجليات الطبيعة وصورها عند البحتري 15

- المبحث الأول: الطبيعة عند البحتري 18

أ –الرياض 19

ب – الربيع..... 23

ج –الطبيعة المائية والشامية 27

- المبحث الثاني: العمران عند البحتري 32

وصف القصور العباسية..... 32

- المبحث الثالث: وصف الحيوان عند البحتري 40

أ –الخيل والفرس..... 40

ب – الأسد..... 42

.....

ج –الظبي والغزال 45

د –الذئب 49

الفصل الثاني: مقاربة أسلوبية.. لسينية البحتري 56

قصيدة وصف إيوان كسرى..... 56

- المبحث الأول: المستوى الصوتي 58

- المبحث الثاني: المستوى التركيبي 69

- المبحث الثالث: المستوى الدلالي 74

خاتمة 78

ملحق: نبذة عن حياة البحتري وشعره 83

قائمة المصادر والمراجع 99

الفهرس